

بغية الأذكياء

في البحث عن كرامات الأولياء
انتخبها العالم العلامة البحر الفهامة
الشيخ محمد محفوظ بن عبد الله الترمسي
غفر الله ذنوبهما وستر
عيوبهما في الدارين
ونفعنا به
آمين

طبع على نفقة حفيد المؤلف
حرير بن محمد بن محفوظ الترمسي
بيعتان الدمامي

كلمات الشيخ العلامة كياهى ميمون زبير السارنجى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي عباده الصالحين اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له رافع درجات أوليائه العارفين وأشهد ان محمدا عبده ورسوله إمام السادة المتقين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وحزبه المفلحين.

اما بعد فقد أنعم الله المولى الكريم وتفضل علي وشرفني وله الحمد بمطالعة كتاب بغية الأذكياء فى البحث عن كرامات الأولياء للإمام العلامة المرحوم بكرم الله القدسي الشيخ محمد محفوظ بن عبد الله الترمسى المتوفى بمكة المشرفة سنة ١٣٣٨ هـ الذى كتب وألف كتباً مفيدة صغارا وكبارا فى شتى الفنون بعبارات رائعة فائقة والفاظ سهلة سلسلة بل قد صنف رجالا علماء أجلاء نشروا العلم المحمدى فى بقاع بلدتنا اندونيسيا الذين هم مشايخنا ومشايخ مشايخنا فأصحاب كبار المعاهد المنتشرة فى بلدنا المحبوب والمشايخ المؤسسون لجمعية نهضة العلماء انما اكثرهم فروع هذه الدوحة العظيمة العلية وأنهار هذه العين المكية المسكية وكأنهم شهود صدق وبينات عدل لقوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال فمن أراد منا أن يبر آباءه فى العلم والمعرفة فليقتن هذا الكتاب وسائر مؤلفات الإمام محمد محفوظ الترمسى لأنها وأمثالها من الكتب السلفية بلا شك تراث أسلافنا الأماجد الذين بنوا لنا صرح العلم المنيف وشيدوا لنا قصور الفقه فى دين الله والتعمق فى شرعه الحنيف.

هذا وقد سألتى حفيد المؤلف حامل كتاب الله المقرئ الأديب الكياهى حرير محمد الدمائى بتصحيح الكتاب ومقابلة مسودته المطبوعة بأصله العتيق فعملت فى ذلك بما أمكن وتيسر ووقفنى الله تعالى له. فله تعالى أبلغ الحمد وله سبحانه أقصى الشكر ونسأله تعالى أن ينفع بهذه الطبعة لهذا الكتاب العزيز الفريد فى باب العظم فى مباحثه ومطالبه التى احتجنا نحن إليها خصوصا فى هذه العصور المتقدمة فى أمور الدنيا الفانية المتأخرة فى شؤون الآخرة الباقية فحن أشد حاجة إلى زيادة الإيمان واليقين والعرفان بفضائل الأولياء العارفين الذين أعطاهم مولاهم جل شأنه الكرامات والمقامات السنية وراثته عن إمامه الأعظم ونبيهم الأكرم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه

وهؤلاء الأولياء العارفون هم العلماء بالله وبصفاته العلية على حسب الطاقة البشرية المتقون له غاية التقوى المسارعون لمأموراته المجتنبون عن مساخطه ومنهياته الغيورون على الشريعة الإسلامية وأدابها وسننها المواظبون على لزوم الطاعة وترك المنكرات أولئك هم الصادقون فضلا من الله ونعمة أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. ألهمنا وأولادنا واحبابنا حبهم والإقتداء بهم وبالصحابة الأخيار وبالنبي المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. آمين والحمد لله رب العالمين.

تمت كتابة هذا الكتاب المسمى ببغية الأذكياء فى البحث عن كرامات الأولياء للشيخ العالم الفاضل محمد محفوظ بن عبد الله الترمسى ضحوة الاحد ثامن المحرم سنة ١٤١٧ هجرية من النسخة الأصلية دفعها حفيد المؤلف حرير بن محمد بن محمد محفوظ بن عبد الله البيتنجاني الدمائي نفعا الله هذه المنتخبة ووقفنا للتقوى والاستقامة ورزقنا الحسنى وزيادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه اجمعين. والحمد لله رب العالمين.

سار، تحريراً ليلة الاثنين ١ صفر الخير ١٤١٧ هـ

الموافق ١٧ يوني ١٩٩٢ م

كتبه ميمون زبير السارنجي

ترجمة الشيخ محمد محفوظ بن الشيخ عبد الله الترمسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين اما بعد فاقول :

هو الشيخ العلامة الأصولي الفقيه المقرئ المحدث محمد محفوظ ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد المنان الترمسى بفتح التاء وسكون الراء نسبة الى ترمس قرية من قرى جاورى الشرقي ولد الشيخ محفوظ فى ترمس. وقد اختلف في سنة ولادته ف قيل إن ولادته فى سنة ١٢٨٥ هـ وذهب اليه الشيخ ياسين الفادانى فى خاتمة كفاية المستفيد ص ٤٤ وقيل ان ولادته يوم الإثنين السادس من شهر صفر عام ١٢٨٠ هـ هو قول الشيخ دحلان ابن الشيخ عبد الله الترمسى الأخ الشقيق للشيخ محمد محفوظ بن عبد الله الترمسى نشأ رحمه الله فى حجر والده فى قرية الترمس وتلقى مبادئ الفقه فى حداثة سنه وحفظ القرآن وأتقنه ثم رحل الى سماران عند الشيخ العلامة الكياهى صالح بن عمر دارات السمارانى ومكث عنده فى الرباط وقرأ عليه شرح الحكم وتفسير الجلالين وغيرهما ثم رحل الى الديار المكية والمشاعر الحرمية. وقال الشيخ عن نفسه : (ترمس قرية كانت فيها ولادتي ونشأتى الى أن بلغت من عمرى ثلاث وعشرين سنة ثم رحلت منها لحج بيت الله الحرام) وأقام فيها وتلقى الفنون على كبار علماء مكة شرف الله فمئهم :

(١) الشيخ العلامة محمد الشربيني الدمياطي، وكان عالما مفسرا ، متقنا فى علم القراءات ، تلقى عنه المترجم له علم القراءات العشر والاربعة فوق العشر .

(٢) الشيخ العلامة أبو بكر محمد شطا ، وكان عالما فقيها واستفاد منه المترجم أكثر العلوم الشرعية والآلات وكان فى تحصيله مشمرا على ساعد الجد باذلا نفيس وقته فى ادراك المعقول والمنقول فحاز بعظم همته نصب السبق على أقرانه اشتهر صيته فى الفقه وأصوله والقراءات ومصطلح الحديث وشارك فى فنون كثيرة وتصدى للتدريس بالمسجد الحرام ورحل إليه طلبة العلم من كل صوب لاجتماع ثماره اليبانة رحمه الله رحمة واسعة.

وتخرج علي يديه خلف كثير فمئهم :

(١) المحدث عمر بن حمدان المحرسى العالم الجليل محدث الحرمين ولد سنة ١٢٩١

هـ وتوفى رحمه الله بالمدينة النبوية سنة ١٣٦٨ هـ .

والشيخ العلامة نواوى الفاسوروانى والشيخ العلامة خليل اللاسمى وهو كاتبه والشيخ العلامة دلهار الواتوحوعولى وهو كاتبه ايضا وكان تقريره باللغة العربية الفصحى ويخلطها تارة باللغة الجاوية والف كتب كثيرة. تأليفاته المطبوعات (١) منهج ذوى النظر فى شرح الفية علم الأثر (٢) الجزء الأول الى الرابع من موهبة ذى الفضل حاشية شرح بافضل (٣) المنحة الخيرية فى اربعين حديثا من احاديث خير البرية (اربعين الترمسى) (٤) الخلعة الفكرية بشرح المنحة الخيرية (٥) الرسالة الترمسية فى اسناد القرائات العشرية (٦) السقاية المرضية فى اسامى كتب اصحابنا الشافعية (٧) كفاية المستفيد فيما على من الأسانيد (٨) بغية الأذكياء فى البحث عن كرامات الأولياء. تأليفاته المخطوطات (١) نيل المأمول شرح لب الاصول (٢) اسعاف المطالع بشرح البدر اللامع نظم جمع الجوامع (٣) انشراح الفؤاد فى قراءة الامام حمزة روايتى خلف وخلاد (٤) البدر المنير فى قراءة الامام ابن كثير (٥) تعميم المنافع فى قراءة الامام نافع (٦) تنوير الصدر بقراءة الامام ابى عمرو (٧) تهية الفكر بشرح الفية السير (٨) غنية الطلبة بشرح الطيبة (٩) عناية المفتقر فيما يتعلق بسيدنا الخضر (١٠) فتح الخبير بشرح مفتاح السير (١١) الجزء الخامس تكملة من موهبة ذى الفضل (١٢) ثلاثيات البخارى. وتوفى رحمه الله بمكة المشرفة فى اول رجب قبيل اذان المغرب فى يوم الاحد ليلة الاثنين سنة ١٣٣٨ هجرية ودفن فى مقبرة المعلى جوار سيدتنا خديجة الكبرى تغمد الله برحمته وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء. وله ابن صالح حامل لكتاب الله المقرئ المتقن الاديب محمد بن محفوظ بن عبد الله بن عبد المنان اقام بمدينة ذى ماء جاوى الوسطى واسس معهد بستان عشاق القرآن بتعان الدمائى وتوفى يوم الاثنين من جمادى الاولى سنة ١٣٧٠ هجرية ودفن بمقبرة بنى تسليم تغمد الله برحمته ونور ضريحه الى يوم الدين وفقنا الله واولادنا للاقتداء بأثارهم والاقتباس من انوارهم واحشرنا معهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين.

خادم المعهد بستان عشاق القرآن

بيتعان الدمائى

رجب المحرم ١٤٢٨ هـ

أكتوبر ٢٠٠٧ م

حفيد المؤلف حرير محمد محفوظ

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا من أكرم أوليائه في الدنيا والعقبى بصنوف كرامات لاتعد ولا تحصى، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الذى خصصته فيهما بالمقام الأعلى، وعلى آله وصحبه قادة ذوى البر والتقوى، وقدوة أولى الارشاد والذكر. (امابعده)، فيقول محمد محفوظ بن عبد الله الترمسى - منحه الله عوائد فضله الوفى - : هذه منتخبة سميتها بغية الأذكياء فى البحث عن كرامة الأولياء، اقتصرت غالبا فيما عدا تعريف الولي والكرامة وما يتبعه على النقل من كلام التاج السبكي، وكلام المحقق ابن حجر الهيتمى، لما انهما اوفى وامتن ما علمت فى هذا الباب، وفيهما من الحجج ودفع الشبه ما يكفى ذوى الالباب، والله الهادى الى سواء السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

تعريف الولي والكرامة وما يتبعه

اما الولي فهو فعيل من الولاية. قال الاستاذ زين الاسلام القشيري: الولي له معنيان، احدهما فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه امره. قال الله تعالى: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾، فلا يكله الى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته. والثانى فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته. فعبادته تجرى على التولى من غير ان يتخللها عصيان. وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليا يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله تعالى اياه فى السراء والضراء. ومن شرط الولي ان يكون محفوظا كما ان من شرط النبي ان يكون معصوما. فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع. وقال ابو على الجوزجاني : الولي هو الفانى فى حاله الباقي فى مشاهدة الحق سبحانه، تولى الله تعالى سياسته فتوالت عليه انوار التولى، لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله قرار. وقال يحيى بن معاذ: الولي لايرأى ولا ينافق، وما اقل صديق من كان هذا خلقه. وقال ايضا: الولي ربحان الله تعالى فى الارض، يشمه الصديقون فتصل رائحته الى قلوبهم، فيشتاقون به الى مولاهم ويزدادون عبادة على تفاوت اخلاقهم. قال الاستاذ القشيري: فان قيل: فهل يجوز ان يكون وليا فى الحال ثم تتغير عاقبته؟ قيل: من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة لايجوز ذلك، ومن قال انه مؤمن على الحقيقة، وان جاز ان يتغير حاله بعد، لا يبعد ان يكون فى الحال وليا صديقا ثم يتغير، وهذا الذى نختاره نحن. ويجوز ان يكون من جملة كرامات ولي ان يعلم انه مأمون وانه لا تتغير عاقبته. قال ابو سعيد احمد بن عيسى الخراز البغدادى: "اذا ارد الله تعالى ان يوالى عبدا من عبده فتح عليه

باب ذكره، فاذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه الى مجالس الانس به، ثم اجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وادخله دار الفردانية، وكشف له عن الجلال والعظمة، فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا، هو فحينئذ صار العبد زمنا فانيا، فوقع في حفظه سبحانه، وبرئ من دعاوى نفسه. وقيل: علامة الولي ثلاثة: شغله بالله تعالى، وفراره الى الله تعالى، وهمه الله عز وجل. واختلف في ان الولي يجوز ان يعلم انه ولي ام لا؟ فقيل: لايجوز ذلك، لان الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير، وان ظهر عليه شيء من الكرامات خاف ان يكون مكرًا، وهو يستشعر الخوف دائما ابدا، وانما يخاف سقوطه عما هو فيه، وان تكون عاقبته بخلاف حاله. والقائلون بهذا جعلوا من شرط الولاية وفاء المآل. وقيل: يجوز ذلك، وليس من شرط الولي تحقيق الولاية في الحال الوفاء في المآل. قال الاستاذ القشيري: وهو الذي نثره ونقول به. وليس ذلك بواجب في جميع الاولياء حتى يكون كل ولي يعلم انه ولي واجبا، ولكن يجوز ان يعلم بعضهم ذلك كما يجوز ان لا يعلم بعضهم. فاذا علم بعضهم انه ولي كانت معرفته تلك كرامة له انفردها. وليس كل كرامة لولي يجب ان تكون تلك بعينها لجميع الاولياء، بل لولم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدر عدمها في كونه وليا، بخلاف الانبياء، فانه يجب ان تكون لهم معجزات، لانه مبعوث الى الخلق، فبالناس حاجة الى معرفة صدقه ولايعرف الا بالمعجزة. وبعكس ذلك حال الولي. قال: وقول من قال لا يجوز ذلك لانه يخرجهم من الخوف، فلا بأس بخوف العاقبة ان يخافوا تغيير العاقبة، والذي يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والاحلال للحق سبحانه يزيد ويربو على كثير من الخوف. واما الكرامة فهي ظهور امر خارق للعادة من قبل شخص مؤمن صالح غير مقرون بدعوى النبوة والرسالة، فما لا يكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة. وقد تكلموا في الفرق بين الكرامة والمعجزة. فقال ابو اسحاق الاسفرائني: المعجزات دلالات صدق الانبياء، ودليل النبوة لا توجد مع غير النبي، كما ان العقل المحكم لما كان دليلا للعالم في كونه عالما لم يوجد الامن يكون عالما. وقال ابوبكر بن فورك: المعجزات دلالات الصدق. ثم ان ادعى صاحبها النبوة فالمعجزة تدل على صدقه في مقالته. وان اشار صاحبها الى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حاله فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة، وان كان من جنسها للفرق. ومن الفرق بينهما ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باظهارها، والولي يجب عليه سترها واخفاؤها، والنبي صلى الله عليه وسلم يدعى ذلك ويقطع القول

به، والولي لا يدعيها ولا يقطع بكرامته لجواز ان يكون ذلك مكررا. وقال القاضي ابو بكر الباقلاني: ان المعجزات تختص بالانبياء، والكرامات تكون للاولياء. كما تكون للانبياء ولا تكون للاولياء معجزة، لان من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها، وانما كانت معجزة لحصولها على اوصاف كثيرة، فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة، واحد تلك الشرائط دعوى النبوة. والولي لا يدعى الولاية، والذي يظهر عليه لا يكون معجزة. قال الاستاذ القشيري: وهذا القول الذي نعتمده ونقول به بل ندين به. فشرائط المعجزات كلها واكثرها توجد في الكرامة الا هذا الشرط الواحد.

فصل في نقل كلام التاج السبكي في هذا المبحث

قال رضى الله عنه في الطبقات الكبرى: ان الكرامات والمكاشفات ليست خدعا الا لمن يقف عندها ويجعلها شوقه ومقصوده. ولا شك في هذا، وقد بالغ قوم في تعظيمها بحيث سلبوا بها المواهب، وبالع آخرون في امتهائها بحيث لم يعدوها شيئا. والحق ما ذكره ابو تراب اى النخشبى من ان السكون اليها نقص. فمن الواضح الجلي الذى لا ينكره عارف ان العارف لا يقف عندها، وانما مطلوبه ما وراءها. وهى تقع فى طريقه وليس للواقع فى الطريق من الطريق صفة. ومن وقف عندها سقط فى مهاوى الهلكات. ومن كانت هى مطلوبه فهو مغرور ويبعد وصوله اليها، وانما يصل اليها من لا يراها. فان قلت: فلاي معنى يظهرها مظهرها وهى على ما زعمت تزعم اشياء لا يلقون اليها بالا؟ قلت: ظهورها يقع على انحاء ربما لم يكن باختيار صاحبها، وهو كثير بل صار بعض الائمة، كما نقل امام الحرمين فى الشامل، الى ان الكرامات لا تكون ابدا الاعلى هذا الوجه. فعلى هذا لا سؤال، ولكن هذا مذهب ضعيف غير مرضي عند المحصلين، ولا سؤال عليه وربما كان هو المظهر بها، وانما يكون ذلك لفائدة دينية من تربية اوبشارة اونذارة اوغير ذلك، حيث يؤذن فيه، ولا يجوز اظهارها حيث لا فائدة، فذلك عند القوم غير جائز له. قال: وان الكرامات حق. وانى لأعجب غاية العجب من منكرها، واخشى عليه مقت الله، ويزداد تعجبي عند نسبة انكارها الى الاستاذ ابى اسحاق الاسفرائنى، وهو من اساطين اهل السنة والجماعة، على ان نسبة انكارها اليه على الاطلاق كذب عليه. والذي ذكره الرجل فى مصنفاته ان الكرامات لا تبلغ مبلغ خرق العادة. قال: وكلما جاز تقديره معجزة لني لايجوز ظهور

مثله كرامة لولي. قال: وانما بالغ الكرامات اجابة دعوة او موافاة ماء فى بادية فى غير موقع المياه او مضاهى ذلك مما ينحط عن خرق العادة. ثم مع هذا قال امام الحرمين وغيره من ائمتنا: هذا المذهب متروك. قلت: وليس بالغا فى البشاعة مبلغ مذهب المنكرين للكرامات مطلقا، بل هو مذهب مفصل بين كرامة وكرامة، رأى ان ذلك التفصيل هو المميز لها من المعجزات. وقد قال الاستاذ القشيري: ان كثيرا من المقدورات يعلم اليوم قطعا انه لا يجوز ان تظهر كرامة للاولياء لضرورة او شبه ضرورة بعلم ذلك. فمنها حصول انسان لامن ابوين وقلب جماد بهيمة او حيوانا. وامثال هذا كثيرة. انتهى. وهو حق لا ريب فيه، وبه يتضح ان قول من قال ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي، ليس على عمومته. وان قول من قال لا فارق بين المعجزة و الكرامة الا التحدي، ليس على وجهه. ولعلنا نبحت عن هذا فى اخر الفصل، وسيلنا حيث انتهينا الى هذا ان نستقصى شبه المنكرين للكرامات، ونستأصل شأفتهم (١) بتقرير الرد عليهم، ثم نذكر البراهين الدالة على الاثبات، ونختتمها بتمتات.

شبهة للقدريّة فى منع الكرامات و ذكر فسادها

قالوا تجويز الكرامة يفضى الى السفسطة، لانه يقتضى تجويز انقلاب الجبل ذهابا ابريزا او البحر دما عيطا، وانقلاب اوانى يتركها الانسان فى بيته ائمة فضلاء مدققين. و الجواب عن هذه الشبهة من وجوه: احدها انا لا نسلم بلوغ الكرامة الى هذا المبلغ، كما اقتضاه كلام القشيري. والثانى - وهو ما اقتضاه كلام أئمتنا - انا نجوز (بلوغها هذا المبلغ ولكن لا يقتضى ذلك سفسطة لان ما ذكرتم بعينه وارد عليكم فى زمان النبوة فانه يجوز) ظهور المعجزة بذلك ولا يؤدى الى سفسطة. والثالث ان التجويزات العقلية لا تقدر فى العلوم العادية و جواز تغيرها بسبب الكرامة تجويز عقلي فلا يقدر فيها.

شبهة ثانية لهم وتبين الانفصال عنها

قالوا: لوجازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة، فلا تبقى للمعجزة دلالة على ثبوت النبوة. والجواب منع الاشتباه، وذلك لان المعجزة مقرونة بدعوى النبوة ولا كذلك الكرامة. بل الكرامة مقرونة بالانقياد للنبي وتصديقه والسير على طريقه، وقولهم: انما دلت المعجزة

(١). قوله شأفتهم : اى اصلهم وقرحتهم قال فى القاموس الشأفة قرحة تخرج فى اسفل القدم

على تصديق النبي من حيث انخراق العادة فكذلك الكرامة، كلام ساقط. فان مجرد خرق العادة ليس المقتضى للنبوة. ولو دل خرق العادة على النبوة بمجرده لوجب ان تدل اشراف الساعة وما سيظهر منها على ثبوت نبوة، اذ العوائد تنخرق بها. ومن اعظم البدائع فطرة السموات والنشأة الاولى، ثم لم تقتض بدائع الفطرة في نشأة الخلق ثبوت نبي، فاستبان ان مجرد خرق العادة لا يدل على النبوة، اذ لودل لا طرد، بل لا بد معه من التحدى، فلا اشتباه للكرامة بالمعجزة. وايضا فالمعجزة يجب على صاحبها اشهارها، بخلاف الكرامة فان مبناها على الاخفاء، ولا تظهر الاعلى النادرة والخصوص لا على الكثرة والعموم. وايضا فالمعجزة تجوز ان تقع بجميع خوارق العادات، والكرامات تختص ببعضها، كما بيناه من كلام القشيري، وهو الصحيح. ولسنا نجوز ولدا الا من ابوين ولا نحو ذلك، كما سنستقصى القول فيه.

شبهة ثالثة لهم ووجه الانفصال عنها

قالوا: لو ظهرت لولي كرامة مجازا لحكم له بمجرد دعواه انه يملك حبة من الحنطة او فلسا واحدا من الفلوس من غير بينة لظهور درجته عند الله تعالى المانعة من كذبه، لاسيما من هذا المنزل اليسير، لكنه باطل باجماع المسلمين المؤيد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين: البينة على المدعى واليمين على من انكر. والجواب ان الكرامة لا تجب عصمة الولي ولا صدقه في كل الامور. وقد سئل شيخ الطريقة ومقتدى الحقيقة ابو القاسم الجنيد رحمه الله: ايزنى الولي فقال: ﴿وكان امر الله قدرا مقدورا﴾. وهب ان الظن الحاصل بصدقه فيما ادعاه الا ان الشارع جعل لثبوت الدعوى طريقا مخصوصا ورابطا معروفا لا يجوز تعديه ولا العدول عنه. الا ترى ان كثيرا من الظنون لا يجوز الحكم بها لخروجها عن الضوابط الشرعية.

شبهة رابعة لهم وكشف عوارها

قالوا: لوجاز ظهور خوارق العادات على ايدي الصالحين لجاز سرا كما يجوز جهرا، ولو جاز سرا لما أمكننا ان نستدل على نبوة الانبياء بظهورها على ايديهم، فثبت ان ظهورها على الصالحين سرا ممتنع. واذا لم يجز ظهورها عليهم سرا فاولى ان لا تجوز جهرا، لان كل من جوز ظهورها عليهم لم يشترط ان تظهر علانية، بل من اصول معظم جماعتكم ان الاولياء لا يظهرون الكرامات ولا يدعون بها، وانما تظهر سرا وراء ستور يتخصص بالاطلاع عليها آحاد الناس، فثبت انها لو جازت لجازت سرا، اذ لا قائل بالتفصيل، ولانه

اولى بالجواز من العلانية، لكن جوازها سرا يفضى الى ان لا يستدل بها على النبوة، لانه يجوز ظهورها متوالية على استمرار، وان كان ذلك مخفيا مستترا وتكون موجودة مستمرة بحيث يلتحق بحكم المعتاد. فاذا ظهر نبي وتحدى بمعجزة جاز ان تكون هي بعض ما اعتاده اولياء عصره من الكرامات، فلا يتحقق في هذا النبي خرق العوائد. فكيف السبيل الى تصديقه؟ هذا حاصل شبهتهم هذه، ثم حرروا عنها عبارة فقالوا: اذا تكرر مايخرق العوائد على الاولياء افضى ذلك الى التحاق خوارق العادات في حقوقهم بالمعتادات، وصارت عاداتهم خلاف العادات. فلو ظهر نبي في زمنهم كانت عاداتهم في انخراق العوائد في احوالهم تصدهم عن تصحيح النظر في المعجزة. ثم اخرجوا الشبهة على وجه آخر فقالوا: لو جاز اظهارها على صالح لجاز اظهارها على صالح آخر اكراما له، وهكذا الى عدد كثير، اذ ليس اختصاص عدد منهم بذلك اولى من عدد آخر وحينئذ يصير عادة، فلا يبقى ظهورها دليلا على النبوة ويطوى بساط النبوة رأسا. وجميع ماذكروه في هذه الشبهة تمويه لا حاصل تحته وقعقة لا طائل فيها. ولأئمتنا رضى الله عنهم في ردها وجهان، فمن أئمتنا من منع توالى الكرامات واستمرارها حتى تصير في حكم العوائد. وخلص بهذا المنع عن الزامهم، بل امتنع بعض المحققين من تصوير توالى المعجزات على الرسل المتعاقبين، اذ كان يؤدي الى ان تصير المعجزات معتادة. فهذه طريقة في الرد على هذه الشبهة، حاصلها، انا انما نجوز ظهور الكرامات على وجه لا يصير عادة، فاستبان انه خلص بشبهتهم هذه، وانها لم تقدح في اصل الكرامات، وانما تضمنت منع كرورها والتحاقها بالمعتاد. ومن أئمتنا - وهم المعظم - من جوز توالى الكرامات على وجه الاختفاء، بحيث لا تظهر ولا تشيع ولا تلتحق بالمعتاد، لئلا تخرج الكرامة عن كونها كرامة عند عامة الخلق. ثم قالوا: الكرامة وان توات على الولي حتى الفها واعتادها فلا يخرج ذلك عن طريق الرشاد ووجه السداد في النظر اذا لاحت المعجزة، ان وافقه التوفيق، وان تعده التوفيق سلب الطريق ولم يكن بولي على التحقيق. والمعجزة تتميز عن تكررت عليه الكرامة بالاظهار والاشاعة والتحدى ودعوى النبوة، فاذا تميزت الكرامة عن المعجزة لم ينسد باب الطريق الى معرفة النبي. ومن تمام الكلام في ذلك ان اهل القبلة متفقون على ان الكرامات لا تظهر على الفسقة الفجرة، وانما تظهر على المتمسكين بطاعة الله عزوجل. وبهذا لاح ان الطريق الى معرفة الانبياء لا ينسد. فان الولي - بتوفيق الله تعالى - ينقاد للنبي اذا ظهرت المعجزة على يديه، ويقول: معاشر الناس هذا نبي الله، فأطيعوه. ويكون اول منقاد له

ومؤمن به. والقاضى ابو بكر - وان شيب بمنع (١) هذا الاجماع - وقال: لوجوز مجوز ظهور بعض خوارق العادات على بعض الفسقة استدراجا لكان مذهبا كما انه لايبعد ظهورها على الرهبان المتبتلين واصحاب الصوامع على كفرهم. فهذا كما قاله امام الحرمين فيه نظر، ولسنا نثبت لراهب كرامة ولاكيد ولاكرامة، ومحل استيفاء القول على ذلك لايحتمله هذا المكان، والحاصل ان ما يظهر على يد الرهبان ليس من الكرامات. واما توفق القاضى فى الفسقة والفجرة فانا معه، لكن لا على الاطلاق بل أفصل وأقول لو ذهب ذاهب الى تجويز ظهور الكرامة على يد الفاسق انقاذا له مما هو فيه ثم يتوب بعدها ويثبت لا محالة وينتقل الى الهدى بعد الضلالة لكان مذهبا. ويقرب منه قصة اصحاب الكهف التى سنحكيها. فقد كانوا عبدة اصنام، ثم حصل لهم ما حصل ارشادا وتبصرة، ثم ما ذكره الخصوم من حديث اشتباه النبي بغيره اذا وافقت المعجزة الكرامة قد تبين الانفصال عنه. وانا أقول: معاذ الله، ان يتحدى نبي بكرامة تكررت على يد ولي، بل لا بد ان يأتي النبي بما لا يوقعه الله على يد الولي. وان جاز وقوعه فليس (٢) كل جائز فى قضايا العقول واقعا. ولما كانت مرتبة النبي اعلى وارفع من مرتبة الولي كان الولي ممنوعا مما يأتي به النبي - على وجه الاعجاز - والتحدى، ادبا مع النبي. ثم أقول حديث الاشتباه والانسداد على بطلانه انما يقع البحث فيه حيث لم تختم النبوة. اما مع مجيئ خاتم النبيين الذى ثبتت نبوته باوضح البراهين واخباره بانه لا نبي بعده فقد قمعنا الاشتباه. فلو صح ما ذكر من الاشتباه والانسداد لكان فى حكم الاولياء من الامم السالفة لا فى الاولياء من هذه الامة، لأنهم من انه لا نبي بعد نبينهم صلى الله عليه وسلم، هو لو صح ولن يصح ابدا.

شبهة خامسة لهم وتقرير بطلانها

قالو: لوكان للكرامات اصل لكان اولى الناس بها اهل الصدر الاول، وهم صفوة الاسلام وقادة الانام والمفضلون على الحقيقة بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم يؤثر عنهم امر **مستفيض**. وهذا الذى ذكروه يعلل بالأمانى، وهو قول مردود. فلو حاول مستقص استقصاء كرامات الصحابة رضى الله عنهم، لأجهد نفسه ولم يصل الى عشر العشر، ولا بأس هنا بذكر يسير من كرامات الصحابة رضى الله عنهم. والكلام على السر فى ظهورها

١. قوله : وان شيب بمنع الخ عرض بحب منعه

٢. مما يوضحه ان بحرا من رثيق ينبت الاجسام الجامدة والنامية والحساسة والمتحركة بالارادة ممكن الوجود عقلا لكن لم يقع ذلك ولم يبرز الى حيز هذا الوجود. انتهى.

واظهارها على وجه الاختصار ليستفاد بكلامنا على ما نوردته من القليل ما يستعان به على ما نغفله من الكثير. فنقول اعلم اولاً ان كل كرامة ظهرت على يد صحابي او ولي اوتظهر الى يوم يقوم الناس لرب العالمين فانها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، لان صاحبها انما نالها بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم. وهو معترف له بانه مقدم خليفة الله تعالى وصفوتهم، وسيد البشر الذى من بحره تستخرج الدرر، ومن غيثة يستنزل المطر. وهذا المعنى يصلح ان يكون سبباً اجمالياً عاماً فى الاظهار، لاسيما فى عصر الصحابة رضى الله عنهم. فان الكفار اذأروا ما يظهر على ايديهم من الخوارق آمنوا بنبيهم صلى الله عليه وسلم، وعلموا انهم على الحق. فربما كان هذا سبباً فى الاظهار. اذا علمت ذلك، فمن الكرامات على يد ابي بكر الصديق رضى الله عنه ما صح من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها: ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان نحلها جاد عشرين **وسقا** فلما حضرته الوفاة قال: والله يابنية ما من الناس احد احب الى غنى بعدى منك، ولا اعز علي فقرا بعدى منك. وانى كنت نحلته جاد عشرين وسقا، فلو كنت جدديته واخزنيته كان لك، وانما هو اليوم مال وارث، وانما هما اخواك واختاك فاقسموه على كتاب الله. قالت عائشة رضى الله عنها: يا ابت والله لو كان كذا وكذا لتركته، انما هي اسماء. فمن الاخرى فقال ابوبكر رضى الله عنه: ذو بطن بنت خارجة، اراها جارية. فكان ذلك. قلت: فيه كرامتان لابي بكر رضى الله عنه: احدهما اخباره بانه يموت فى ذلك المرض، حيث قال: وانما هو اليوم مال وارث. والثانية اخباره بمولود يولد له، وهو جارية. والسر فى اظهار ذلك استطابة قلب عائشة رضى الله عنها فى استرجاع ما وهبه لها ولم تقبضه، واعلامها بمقدار ما يخصها، لتكون على ثقة منه، فاخبرها بانه مال وارث وان معها اخوين واختين لها. او يدل على انه قصد استطابة قلبها ما مهده اولاً من انه لا احد احب اليه غنى بعده منها. وقوله: انما هما اخواك واختاك اى ليس ثمة غريب ولا ذو قرابة نائية. وفى هذا من الترفق ما ليس يخفى. فرضى الله عنه وارضاه. ومنها ما فى البخارى من حديث عبد الرحمن بن ابي بكر رضى الله عنهما، وقول النبي صلى الله عليه وسلم فى اهل الصفة مرة: من كان عنده طعام اثني عشر فيلذهب بثالث ومن كان عنده طعام اربعة فيلذهب بخامس، الحديث. وفيه ان ابا بكر رضى الله عنه انطلق بثلاثة وغادرهم فى بيته، وتعيشى عند النبي صلى الله عليه وسلم، ولبت حتى صلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء بعد ما مضى من الليل ماشاء الله، **فقال** له امرأته: ما حبسك عن اضيافك، قال: اوما عشيتهم قالت: ابوا حتى تجيئ ثم قال:

كلوا، فقال قائلهم: وايم الله ما كنا نأخذ من لقمة الاريا من اسفلها اكثر منها، حتى شعبوا وصارت اكثر مما كانت قبل. فنظر ابو بكر رضى الله عنه فاذا شئى اواكثر، فقال لامرأته: يااخت بنى فراس ما هذا؟ قالت: لا، ورقة عيني، لهي الآن اكثر مما كانت قبل بثلاث مرات، فأكل منها ابو بكر رضى الله عنه. الحديث. قلت: السر فيه - والعلم عند الله - ان كان ابو بكر قصد تكثير الطعام لاحتياجه الى اشباع الاضياف الذين امره النبي صلى الله عليه وسلم بهم، وان لم يكن قصد ذلك، بل كثره الله ببركته. فهي كرامة اظهرها الله على يديه من غير قصد منه فلا يبحث عنها.

ومنها على يد أمير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله عنه

الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: لقد كان **فيمن** قبلكم محدثون فان يك فى امتى احد فانه عمر. قصة سارية بن زنيمة الخلجي (١) كان عمر رضى الله عنه قد امر سارية على جيش من جيوش المسلمين وجهزه الى بلاد فارس، فاشتد على عسكره الحال على باب نهاوند وهو يحاصرها. وكثرت جموع الاعداء، وكاد المسلمون ينهزمون. وعمر رضى الله عنه بالمدينة، فصعد المنبر وخطب ثم استغاث فى اثناء خطبته باعلى صوته: ياسارية الجبل ياسارية الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم. فاسمع الله عز وجل سارية وجيوشه - اجمعين وهم على باب نهاوند - صوت عمر رضى الله عنه، فلجئوا الى الجبل وقالوا: هذا صوت أمير المؤمنين، فنجوا وانتصروا. هذا ملخصها. وسمعت الشيخ الامام الوالد رحمه الله يزيد فيها ان عليا رضى الله عنه كان حاضرا، فقبل له: ما هذا الذى يقوله امير المؤمنين؟ واين سارية منا الآن؟ فقال كرم الله وجهه: دعوه فما دخل فى امر الاخرج منه. ثم تبين الحال بالاخرة. قلت: عمر رضى الله عنه لم يقصد اظهار هذه الكرامة، وانما كشف له ورأى القوم عيانا، وكان كمن هو بين اظهرهم او طويت الارض وصار بين اظهرهم حقيقة، وغاب عن مجلسه بالمدينة، واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين بنهاوند، فخاطب اميرهم خطاب من هو معه، اذ هو حقيقة معه او كمن هو معه. واعلم ان ما يجريه الله على لسان اوليائه من هذه الامور يحتمل ان يعرفوا بها ويحتمل ان لايعرفوا بها، وهى كرامة على كلا الحالين. ومنها قصة الزلزلة، قال امام الحرمين رحمه الله فى كتابه الشامل: ان الارض زلزلت فى زمن عمر رضى الله عنه فحمد الله واثنى عليه. والارض ترجف وترتج، ثم ضربها بالدرة،

وقال: اقرى الم اعدل عليك فاستقرت من وقتها. قلت: كان عمر رضى الله عنه امير المؤمنين على الحقيقة فى الظاهر والباطن، وخليفة الله فى ارضه وفى ساكنى ارضه، فهو يعزر الارض ويؤدبها بما يصدر منها كما يعزر على ساكنيها على خطاياهم. فان قلت: ايجب على الارض تعزير وهى غير مكلفة، قلت: هذا الآن جهل وقصور على ظواهر الفقه، اعلم ان امر الله وقضاءه متصرف فى جميع مخلوقاته، ثم منه ظاهر وباطن. فالظاهر ما يبحث عنه عند الفقهاء من احكام المكلفين، والباطن ما استأثر الله تعالى بعلمه وقد يطلع عليه بعض اصفياه، ومنهم الفاروق - سقى الله عهده - فاذا ارتجت الارض بين يدى من استوى عنده الظاهر والباطن عزرها، كما اذا زل المرء بين يدى الحاكم. وانظر خطابه لها وقوله: الم اعدل عليك والمعنى - والله اعلم - انها اذا وقع عليها جور الولاة جديرة بان ترتج غير ملومة على التزلزل بما ظهر على ظهرها، واما اذا لم يكن جور بل كان الحكم بالقسط قائما، ففيم الارتجاج وعلى م القلق ولم يأت الوقت المعلوم. فمالها ان ترتج الا فى وقتين: احدهما الوقت المعلوم المشار اليه فى قوله تعالى: ﴿اذا زلزلت الارض زلزالها﴾. فان ذلك اليها، وذلك اذا قال الانسان: مالها حدثت هى باخبارها وذكرت ان الله اوحى لها على ما قال الله تعالى: ﴿اذا زلزلت الارض زلزالها * واخرجت الارض اثقالها * وقال الانسان مالها * يومئذ تحدث اخبارها * بان ربك اوحى لها﴾. والثانى وقت وقوع الجور عليها من الولاة، فانها تعذر اذ ذاك. فان قلت: من اين لك هذا؟ قلت: من قول عمر رضى الله عنه الذى اشرنا اليه. ويدل عليه ايضا: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * ان دعوا للرحمن ولدا﴾. لانه دلت على ان الارض تكاد تنشق بالفجور الواقع عليها، فلولا يمسكها الله لكان..... (١) واعلم ان هذا الذى خضناه بحر لا ساحل له، و الرأي ان نمسك عنان الكلام، و الموفق يؤمن بما يريد، والشقي يجهل ولا يجدى فيه البيان ولا يفيد، ومنهم شقي ومنهم سعيد. ويقرب من قصة الزلزلة قصة النيل. وذلك ان النيل كان فى الجاهلية لايجرى حتى تلقى فيه جارية عذراء فى كل عام. فلما جاء الإسلام وجاء وقت جريان النيل فلم يجز، فاتى اهل مصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فأخبروه ان لنيلهم سنة، وهو ان لا يجري حتى تلقى فيه جارية بين ابويها، و يجعل عليها من الحلي و الثياب افضل ما يكون. فقال لهم عمرو بن العاص رضى الله عنه: ان هذا لا يكون، وان الاسلام يهدم ما قبله. فأقاموا ثلاثة

اشهر لايجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء. فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بذلك، فكتب اليه عمر رضى الله عنه: قد اصببت، ان الاسلام يهدم ما قبله، وقد بعثت اليك بطاقة فألقها فى النيل. ففتح عمرو رضى الله عنه البطاقة قبل القائها، فاذا فيها: من عمر امير المؤمنين الى نيل مصر. اما بعد، فان كنت تجرى من قبلك فلاتجر، وان كان الله الواحد القهار وهو الذى بجريك. فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك. فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب، وقد تهيأ اهل مصر للجلاء والخروج منها. فاصبحوا وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا فى ليلة. فانظر الى عمر رضى الله عنه، كيف يخاطب الماء ويكتبه ويكلم الارض ويؤدبها. واذا قال لك المغرور: اين اصل ذلك فى السنة، قل: ايها المتعثر فى اذيال الجهالات ايطالب الفاروق رضى الله عنه باصل، وان شئت اصلا فهناك اصولا لا اصلا واحدا اليس قد حن الجذع الى المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى ضمه اليه، اليس شكى اليه البعير مابه، اليس فى قصة الظبية حجة والأصول فى هذه النوع لا تنحصر، وسنذكر ما لك ان تضمه الى هذا فى ترجمة الامام فخر الدين فى مسألة تسبيح الجمادات، حيث نرد عليه ثمة انكاره لذلك. يقول محمد محفوظ الترمسى - عفا الله عنه - عبارة هناك اختار الامام فى التفسير فى سورة الاسراء: ان الجمادات وغير المكلف من البهائم انما تسبح الله بلسان الحال ولا تسبح له بلسان المقال، واحتج بمالم ينهض عندنا. وفصل قوم فقالوا: كل حي ونام يسبح دون ما عداه. وعليه قول عكرمة: الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح. وقال يزيد الوقاشى للحسن وهما يأكلان طعاما، وقد قدم الخوان: ايسبح هذا الخوان، اباسعيد فقال: قد كان يسبح ثمره. يريد ان الشجرة فى زمن نموها واعتدالها ذات تسبيح، واما الآن فصار خوانا مدهونا، ويستدل لهذا بما ثبت من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم مربقرين فقال: انهما يعذبان، وفيه انه دعا بعسيب رطب وشقه باثنين، وغرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا، ثم قال صلى الله عليه وسلم: لعله يخفف عنهما مالم ييبسا، فان فيه اشارة الى انهما ماداما رطبين يسبحان، واذا يبسا صار جمادا، وذهب قوم الى ان كل شئ من جماد وغيره يسبح بلسان المقال، وهذا هو الأرجح عندنا، لانه لا استحالة فيه، ويدل له كثير من النقول. قال تعالى: ﴿اناسخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق﴾، وقال تعالى: ﴿وتخر الجبال هدا * ان دعوا للرحمن ولدا﴾ وقال صلى الله عليه وسلم كما روى ابن ماجه: لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شئ الا شهد له يوم القيامة. وفى صحيح البخارى:

انهم كانوا يسمعون تسييح الطعام وهو يؤكل عند النبي صلى الله عليه وسلم. وفي صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث وخبر الجذع فى هذا مشهور، وروى ابن المبارك فى رقايقه ان ابن مسعود رضى الله عنه قال: ان الجبل ليقول للجبل هل مريك اليوم ذاكر الله فان قال نعم سر به الى غير ذلك من اخبار وآيات تشهد لمن يحمل قوله تعالى: ﴿وان من شئ الا يسبح بحمده﴾ على عمومه، غير انا نقول: لا نسلم من تسييحها بلسان المقال أنا نسمعها، وانما يكون ذلك على سبيل المعجزة، كما كانوا يسمعون تسييح الطعام عند المصطفى صلى الله عليه وسلم، او على وجه الكرامة. انتهت. ومنها قصة النار الخارجة من الجبال، كانت نار تخرج من كهف فى جبل فتحرق ما اصابته، فخرجت فى زمن عمر رضى الله عنه، فأمر ابا موسى الاشعري اوتميما الدارى رضى الله عنهما ان يدخلها الكهف فجعل يحبسها بردائه حتى ادخلها الكهف، فلم تخرج بعد. قلت: ولعله قصد بذلك منع اذاها. ومنها انه عرض جيشا يبعثه الى الشام، فعرضت له طائفة فاعرض عنهم، ثم عرضت ثانيا فاعرض عنهم، ثم عرضت ثالثا فاعرض. فبين بالآخرة انه كان فيهم قاتل عثمان و قاتل علي.

ومنها على يد عثمان ذى النورين رضى الله عنه

دخل اليه رجل كان قد لقي امرأة فى الطريق فتأملها، فقال له عثمان رضى الله عنه: يدخل احدكم وفى عينيه اثر الزنا. فقال الرجل: أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: لا، ولكنها فراسة. قلت انما اظهر عثمان رضى الله عنه هذا تأديبا لهذا الرجل وزجرا له عن سوء صنيعه واعلم ان المرء اذا صفا قلبه صار ينظر بنور الله تعالى فلا يقع بصره على كدر اوصاف الا عرفه ثم تختلف المقامات فمنهم من يعرف ان هناك كدرا ولا يدري ما اصله ومنهم من يكون اعلى من هذا المقام فيدري اصله كما اتفق لعثمان رضى الله عنه فان تأمل الرجل للمرأة اورثه كدرا فابصره عثمان رضى الله عنه وفهم سببه وهنا دقيقة، وهو ان كل معصية لها كدر وتورث نكتة سوداء فى القلب بقدرها، فتكون رينا على ما قال تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ الى ان يستحكم - والعياذ بالله - فيظلم القلب وتغلق ابواب النور فيطبع عليه، فلا يبقى سبيل الى توبته على ما قال تعالى: ﴿وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾، وقد اوضحنا هذا فى كتاب رفع الحوبة بوضع التوبة فى باب ان المطبوع لا توبة له، اذا عرفت هذا، فالصغيرة من المعاصى تورث كدرا صغيرا بقدرها، قريب المحو بالاستغفار و غيره من المكفرات، ولا يدركه الا ذو بصر

حاد كعثمان رضي الله عنه، حيث ادرك هذا الكدر اليسير. فان تأمل المرأة من ايسر الذنوب وادركه عثمان رضي الله عنه وعرف اصله. وهذا مقام عال يخضع له كثير من المقامات. واذا انضم الى الصغيرة صغيرة اخرى ازداد الكدر، واذا تكاثرت الذنوب بحيث وصل.

- والعياذ بالله - الى ما وصفناه من ظلام القلوب صار بحيث يشاهده كل ذى بصر. فمن رأى متضمخا بالمعاصي فقد اظلم قلبه ولم يتفرس فيه ذلك، فليعلم انه انما لم يبصره لما عنده ايضا من العمى المانع للابصار. والا فلو كان بصيرا لأبصر هذا الظلام الداجي، فبقدر بصره يبصر، فافهم ما نتحلفك به.

ومنها على يد على المرتضى امير المؤمنين رضي الله عنه
روي ان عليا وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم سمعوا قائلا يقول في جوف الليل:
يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت و انتبهوا * و عين جودك يا قيوم لم تنم
هب لي بجودك فضل العفو عن زللي * يا من اليه رجاء الخلق في الحرم
ان كان عفوك لا يرجوه ذوخطأ * فمن يجود على العاصين بالنعم
فقال على رضي الله عنه لولده: اطلب لي هذا القائل، فأثاء فقال: أجب أمير المؤمنين، فأقبل يجبر شقه حتى وقف بين يديه فقال: قد سمعت خطابك، فما قصتك، فقال: اني كنت رجلا مشغولا بالطرب والعصيان، وكان والدي يعظني ويقول ان الله تعالى سطوات ونقمت، وما هي من الظالمين ببعيد، فلما الح في الموعظة ضربته، فحلف ليدعون علي ويأتى مكة مستغيثا الى الله ففعل، ودعا فلم يتم دعاؤه حتى جف شقى الأيمن، فقدمت على ما كان منى، وداريته وارضيته الى ان ضمن لي انه يدعو لي حيث **دعا**، فقدمت اليه ناقة فاركبته فنفرت الناقة ورمت به بين صخرتين **فمات**. فقال علي كرم الله وجهه رضي الله عنك ان كان ابوك رضي عنك. فقال: آله كذلك، فقام علي كرم الله وجهه وصلى ركعات ودعا بدعوات اسرها الى الله عز وجل، ثم قال: يا مبارك قم، فقام ومشى وعاد الى الصحة كما كان، ثم قال: لولا انك حلفت ان اباك رضي عنك ما دعوت لك. قلت: اما الدعاء فلاشكال فيه، اذ ليس فيه اظهار كرامة. ولكننا نبحت في هذا الامر في موضعين، احدهما فيما نحن بصدد من السر في اظهاره - كرم الله وجهه - الكرامة في قوله: قم، فنقول: لعله لما دعا اذن له ان يقول ذلك، او رأى ان قيامه موقوف باذن الله تعالى على هذا المقال، فلم

يكن من ذكره بد. والثاني كونه صلى ركعات ولم يقتصر على **الدعاء**، فنقول ينبغي للداعي ان يبدأ بعمل صالح يتنور به قلبه ليعقبه الدعاء، ولذلك كان الدعاء عقيب المكتوبات اقرب الى الاجابات. ومن افضل الاعمال الصلاة، وقد جاء في احاديث كثيرة الامر بتقديمها على الدعاء عند الحاجات، واقل الصلاة ركعتان، فان حصل نور بها واشرقت علائم القبول، فالاولى الدعاء عقبها والا فليصل المرء الى ان تلوح امارات القبول فيعرض اذ ذاك عن الصلاة ويفتح الدعاء فانه اقرب الى الاجابة. وللکلام فى هذا المقام سبىح طويل لسنأ له الآن.

ومنها على يد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم

فى استسقائه عام الرمادة. وذلك ان الارض اجدبت فى زمن عمر رضى الله عنه، وكانت الريح تذى ترابا كالرماد لشدة الجذب فسمى عام الرمادة لذلك، وقيل: انما سمي بذلك لكثرة من هلك فيه، والرمد الهلاك، فخرج عمر بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما يستسقى، فأخذ بضبعيه واشخصه قائما ثم اشخص الى السماء، وقال: اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبر رجاله فانك تقول وقولك الحق، ﴿واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا﴾، فحفظتهما لصالح ابيهما، فاحفظ اللهم نبيك صلى الله عليه وسلم فى عمه فقد دلونا به اليك مستشفعين ومستغفرين. ثم اقبل على الناس فقال: ﴿استغفروا ربكم انه كان عفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * **الى قوله انهاراً**﴾ والعباس قد طال عمره، وعيناه تنضحان، وسبابته تجول فى صدره وهو يقول: اللهم انت الراعى، لاتهمل الضالة، ولا تدع الكسير بدار مضیعة، فقد ضرع الصغير ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وانت تعلم السر واخفى، اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا، فانه لا يئأس من روحك الا القوم الكافرون. اللهم فاغثهم بغياثك، فقد تقرب الى القوم لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم، فنشأت طريقة من سحاب وقال الناس: ترون ترون ثم تلامت واستتمت ومشت فيها ريح، ثم هرت ودرت. فما برح القوم حتى اعتلقوا الحذاء وقلصوا المآزر وخاضوا الماء الى الركب، ولاذ الناس بالعباس رضى الله عنه يمسحون اردانه (١) ويقولون هنيأ لك ساقى الحرمين، فاترع الله الحباب واخصب البلاد ورحم العباد، قلت: فهذه دعوة مستجابة ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن

فيها قصد اظهار كرامة بل استسقاء عند احتياج الخلق. وهى مثل ما ظهر على يد سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه، وذلك انه كان يوم القادسية متألما من رمل لم يستطع الركوب لاجله، فجلس فى قصر يشرف على الناس، فقال فى ذلك بعض الشعراء مقالا بلغه رضى الله عنه، فقال: اللهم اكفنا لسانه ويده. فخرس لسانه وثلث يده. وكان سعد رضى الله عنه مجاب الدعوة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بذلك، فقال: اللهم سدد سهمه، واجب دعوته، فكان لا يدعو بشيئ الا اجاب الله تعالى دعاءه فيه. وكان الصحابة رضى الله عنهم يعرفون ذلك منه. و لما عزل عمر رضى الله عنه من الكوفة بشكوى اهلها، وكان عمر رضى الله عنه قد قال: لا يشكو الي اهل موضع عاملهم الا عزلته. وذلك - والله اعلم - لمعنيين: احدهما انه راي ان الصحابة رضى الله عنهم كلهم عدول و الإستبدال ممكن. والثانى انه لم يكن للأولين رغبة فى الولاية، وانما كانوا يفعلونها امتثالا لأمر أمير المؤمنين، وانقيادا لطاعة الله عز وجل و رسوله صلى الله عليه وسلم، ورجاء ثواب الله فى إقامة الحق. فإذا عزل احدهم كان العزل احب اليه من الولاية، فلا يؤلم ذلك قلبه. فلذلك كان عمر رضى الله عنه - والله اعلم - يختار عزل المشكوك على الإطلاق بمجرد الشكوى، وان كان عنده عدلا ورعا منزلها عما قيل فيه، لأنه يجمع بعزله بين إدخال السرور على قلبه بلاقالة، وعلى الشاكين بقطع النزاع. وكان مع ذلك لا يغفل البحث عن أحوال الراعى و الرعية حتى يطلع على صدق الشاكى من غيره. فلما عزل سعدا وولى مكانه عمار بن ياسر رضى عنهما بعث مع سعد رضى الله عنه من يسأل عنه اهل الكوفة، فلم يدع مسجدا حتى سأل عنه، فيثنون عليه خيرا حتى دخل مسجدا لبنى عيس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة ويكنى أبا سعدة فقال: اما اذ نشدتنا فان سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية. فقال سعد رضى الله عنه: اما والله لأدعون بثلاث، اللهم ان كان عبدك هذا كاذبا قام رياء و سمعة فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن. قال عبد الملك بن عمير من رواية الحديث: فانا رايتاه قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وانه ليتعرض للجوارى فى الطريق يغمزهن، وكان بعد اذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون اصابتني دعوة سعد. واراد عمر رضى الله عنه ان يرد سعدا بعد ذلك الى الكوفة فامتنع. وأقبل سعد رضى الله عنه يوما برجل يسب عليا و طلحة و الزبير رضى الله عنهم فهاه فكأنما زاده اغراء، فقال: ويلك ما تريد الى اقوام خير منك، لتنتهين او لأدعون عليك، فقال: هاه فكأنما تخوفنى يعنى نبيا من الأنبياء. فدخل سعد رضى الله عنه

دارا فتوضاً ودخل مسجدا فقال: اللهم ان عبدك هذا يسب اقواما قد سبقت لهم منك الحسنى حتى أسخطك بسبه إياهم، فأرنى فيه اليوم أية لتكون أية للمؤمنين. فخرجت بختية من دار قوم وأقبلت لا يصد صدرها شئى حتى انتهت اليه، وتفرق الناس فجعلته بين قوائمه حتى طفى.

ومنها على يد ابن عمر رضى الله عنهما

حيث قال للأسد الذى منع الناس الطريق: تنح فبصبص بذنبه وذهب. (١) وعلى يد العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه وقد بعثه النبى صلى الله عليه و سلم فى غزاة بجيش، فحال بينهم وبين الموضع البحر، فدعا الله تعالى ومشوا على الماء. وما جاء انه كان بين **سلمان** و ابى الدرداء قصعة فسبحت حتى سمع التسييح. وما اشتهر ان عمران بن حصين رضى الله عنهما كان يسمع تسييح الملائكة حتى اکتوى، فانجس ذلك عنه ثم اعاده الله عليه. وما اشتهر من قصة خالد بن الوليد رضى الله عنه، وهي انه شرب السم ولم يضره. فان قلت: ما بال الكرامات فى زمان الصحابة رضى الله عنهم؟ وان كثرت فى نفسها قليلة بالنسبة الى ما يروى من الكرامات الكائنة بعدهم على يد الأولياء. فالجواب: اولاً، ما اجاب الإمام الجليل احمد بن حنبل رضى الله عنه حيث سئل عن ذلك، فقال: اولئك كان ايمانهم قويا، فما احتاجوا الى زيادة يقوى بها ايمانهم، وغيرهم ضعيف الإيمان فى عصره فاحتيج الى تقويته باظهار الكرامة. ونظيره قول الشيخ السهروردى رحمه الله حيث قال: وخرق العادة انما يكشف به لموضع يقين المكاشف، رحمة من الله تعالى لعباده، العباد ثوابا معجلا، وفوق هؤلاء قوم ارتفت الحجب عن قلوبهم فما احتاجوا الى ذلك. وثانيا، ان يقال: ما يظهر على ايديهم ربما استغنى عنه اكتفاء بعظيم مقدارهم وروعتهم طلعة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولزومهم طريق الاستقامة الذى هو اعظم الكرامة، مع ما فتح على ايديهم من الدنيا ولا اشرأبوا (٢) لها ولا بضحوها، ولا استزلت واحدا فرض الله عنهم. كانت الدنيا فى ايديهم اضعاف ما هى فى ايدى اهل ديانا، وكان اعراضهم عنها اشد اعراض، وهذا من اعظم الكرامات. ولم يكن شوقهم الا اعلاء كلمة الله تعالى، والدعاء الى جنابه جل وعلا. فان قلت: هب انكم دفعتم شبه المنكرين للكرامات، فما دليلكم انتم على اثباتها، فان القول

١. فى رسالة القشيري نحوه و زاد بعده انه قال انما سلط على ابن ادم ما يخافه و لو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شئى و هذا خبر معروف

فى الدين نفيا واثباتا يحتاج الى الدليل. قلت: اذا اندفع ما استدل به الخصوم على المنع وبطلت الاستحالة لم يبق بعدها الا الجواز، اذ لا واسطة بين المنع والاستحالة. ثم فيما ذكرناه من الواقعات على يد الصحابة مقنع لمن له ادنى بصيرة، ثم ان ابيت الا دليلا خاصا ليكون اقطع للشغب (١) وانفى للشبه. فنقول: الدليل على ثبوت الكرامات وجوه: احدها - وهو اوحدها - ما شاع وذاع، بحيث لا ينكره الا جاهل معاند من انواع الكرامات للعلماء والصالحين الجارى مجرى شجاعة علي كرم الله وجهه، وسخاء حاتم. بل انكار الكرامات اعظم مباهة، فانه اشهر واظهر. ولا يعاند فيه الا من طمس قلبه - والعياذ بالله - والثانى قصة مريم من جهة حبلها من غير ذكر، وحصول الرطب الطرى من الجذع اليابس، وحصول الرزق عندها فى غير اوانه ومن غير حضور اسبابه، على ما اخبر الله تعالى بقوله: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله﴾، وهى لم تكن نبية، لاعندنا ولا عند الخصوم. اما عندنا فالدلة، منها قوله تعالى: ﴿المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل واهمه صديقة﴾، ومنها الاجماع على ما نقل بعضهم. واما عند الخصم فلائنه يشترط ان يكون النبي ذكرا، ونحن لا نخالفه فى ذلك بل نشترط الذكورة فى الامامة والقضاء فضلا عن النبوة. هكذا ذكر بعض ائمتنا. فقال القاضى: لم يقم عندى من ائمة السمع من امر مريم وجه قاطع فى نفى نبوتها او اثباتها. فان قلت: لم لا يجوز ان تكون معجزة لذكرياء عليه السلام او يكون ارهاصا لولدها عيسى عليه السلام، قلت: لان المعجزة يجب ان تكون بمشهد من الرسول والقوم، حتى يقيم الدلالة عليهم. وما حكيناه من كراماتها نحو قول جبريل لها: ﴿وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾، لم يكن بحضور احد، بدليل قوله: ﴿فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما﴾. وايضا فالمعجزة تكون بالتماس الرسول، وزكرياء ماكان يعلم بحصول ذلك، لقوله: ﴿انى لك هذا﴾. وايضا فهذه الخوارق انما ذكرت لتعظيم شأن مريم فيمتنع وقوعها كرامة لغيرها. ولا يجوز ان يكون ارهاصا لعيسى عليه السلام، لان الارهاص ان يختص الرسول قبل رسالته بالكرامات، فاما ما يحصل به كرامة الغير لأجل انه سيجيى بعد ذلك، فذلك هو الكرامة التى ندعيها، ولانه لوجاز ذلك لجاز فى كل معجزة ظهر على يد مدعى الرسالة ان تكون ارهاصا لنبي آخر يجيى بعد ذلك. وتجوز

هذا يؤدى الى سد باب الاستدلال بالمعجزة على النبوة. وقريب من قصة مريم، قصة ام موسى عليه السلام وما كان من الهام الله تعالى اياها حتى طابت نفسها باللقاء ولدها فى اليم، الى غير ذلك مما خصت به. افترى ذلك سدى، قال امام الحرمين: ولم يصر احد من اهل التواريخ ونقله الأقايسى الى انها نبية صاحبة معجزة. والثالث التمسك بقصة اصحاب الكهف. فان لبثهم ثلاثمائة سنين وازيد، نياما احياء من غير آفة مع بقاء القوة العادية بلا غذاء ولا شراب، من جملة الخوارق ولم يكونوا انبياء، فلم تكن معجزة، فنعين كونها كرامة. وادعى امام الحرمين اتفاق المسلمين على انهم لم يكونوا انبياء، وانما كانوا على دين ملك فى زمانهم يعبد الاوثان، فأراد الله ان يهديهم، فشرح صدورهم للاسلام، ولم يكن ذلك عن دعوة داع دعاهم، ولكنهم لما وفقوا تفكروا فاعتبروا ونظروا فاستبان لهم ضلال صاحبهم، ورأوا ان يؤمنوا بفاطر السموات والارض ومبدع الخلائق اجمعين. ولا يمكن ان يجعل ذلك معجزة لنبى آخر. اما اولاً، فلأنهم اخفوه حيث قالوا: ﴿ولا يشعرون بكم احداً﴾، والمعجزة لا يمكن اخفاؤها. واما ثانياً، فلان المعجزة يجب العلم بها، ويقاؤهم هذه المدة لا يمكن علم الخلق به لان الخلق لا يشاهدونه، فلا يعلم ذلك الا باخبارهم. لو صح انهم يعلمون ذلك، واخبارهم بذلك انما يفيد اذا ثبت صدقهم بدليل آخر وهو غير حاصل، واما اثبات صدقهم بهذا الامر فدور ممتنع، لانه انما ثبت هذا الامر اذا ثبت صدقهم، فلوتوقف صدقهم عليه لدار، واما ثالثاً، فانه ليس لذلك النبى ذكر ولا دليل يدل عليه. فاثبات المعجزة له لا فائدة فيه، لان فائدة المعجزة التصديق، وتصديق واحد غير معين محال. الرابع التمسك بقصص شتى مثل قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام فى حمل عرش بلقيس اليه قبل ان يرتد اليه طرفه على قول اكثر المفسرين بانه المراد ب﴿الذى عنده علم من الكتاب﴾، وما قدمناه عن الصحابة رضى الله عنهم، وما تواتر عن بعدهم من الصالحين و خرج عن حد الحصر، ولو اراد المرء استيعابه لما كفته اوساق احوال ولا اوقات جمال، ولكننا نستدل بما كانوا عليه. فقد كانوا من قبل ما نبغ النابغون، ونشأ الزائغون، يتفاوضون فى كرامات الصالحين، وينقلون ما جرى من ذلك لعباد بنى اسرائيل فمن بعدهم. وكانت الصحابة رضى الله عنهم من اكثر الناس خوفاً فى ذلك. والخامس ما اعطاه الله تعالى لعلماء هذه الامة واوليائها من العلوم حتى صنفوا كتباً كثيرة لا يمكن غيرهم نسخها فى مدة عمره صنفها، مع التوفيق لدقائق تخرج عن حد الحصر، واستنباطات تطرب ذوى النهى، واستخراجات لمعان شتى من الكتاب والسنة، تطبق طبق

الارض، وتحقيق للحق و ابطال للباطل، وما صبروا عليه من المجاهدات والرياضات والدعوة الى الحق، والصبر على انواع الأذى، وعزوف انفسهم عن لذات الدنيا، مع نهاية عقولهم وذكائهم وفطنتهم. وما حب اليهم من **الدأب**، وكد النفس فى تحصيلها، بحيث اذا تأمل المتأمل ما اعطاهم الله عز وجل منه، عرف انه اعظم من اعطائه بعض عبيده كسرة خبز فى ارض منقطعة، وشربة ماء فى مفازة، ونحوهما مما يعد كرامة. فان قلت قد اكثرتم القول فى الكرامات وما افصحتم بالمختار من الاقوال المنقولات. قلت: هذا مقام معضل خطر، والاحتجار على مواهب الله تعالى لاوليائه عظيم عسير، والاتساع فى التجويز آيل الى فتح باب على المعجزات مسدود. والذى يترجح عندى القول بتجويز الكرامات على الاطلاق اذا لم تخرق عادة، وتجويز بعض خوارق العوائد دون بعض، فلان منع كثيرا من الخوارق وامنع كثيرا. ولي فى ذلك قدوة وهو ابو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى. فان قلت: عرفى ما تمنعه وما لاتمنعه ليتبين مذهبك. قلت: امنع ولدا من غير ابوين، وقلب جماد بهيمة، ونحو ذلك، وسيتضح لك ذلك عند ذكر الانواع التى ابديتها على الاثر ان شاء الله تعالى. واما جمهور ائمتنا فعمموا التجويز واطلقوا القول اطلاقا، واخذ بعض المتأخرين بعدد انواع الوقائع من الكرامات فجعلها عشرة، وهى اكثر من ذلك، وانا اذكر ما عندى فيها: النوع الاول، احياء الموتى، واستشهد لذلك بقصة ابي عبيد البسرى، فقد صح انه غزا وتحتة دابة فماتت، فسأل الله تعالى ان يحييها حتى يرجع الى بسر، فقامت الدابة تنفض اذنيها. فلما فرغ من الغزوة ووصل الى بسر أمر خادمه ان يأخذ السرج عن الدابة، فلما أخذه سقطت ميتة. والحكايات فى هذا الباب كثيرة، ومن أواخرها ان مفرجا الدمامينى، وكان من اولياء الله من اهل الصعيد، ذكر انه اخضرت عنده فراخ مشوية، فقال لها: طيرى فطارت احياء باذن الله تعالى. وان الشيخ الاهدل كانت له هرة ضربها خادمه فماتت فرمى بها فى خرابة، فسأل عنها الشيخ بعد ليلتين او ثلاث، فقال الخادم: لا أدرى. فقال: أما تدرى ثم ناداها فجاءت اليه تجرى. وحكاية الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه، ووضعه يده على عظام دجاجة كان قد اكلها، وقوله لها: قومى باذن الله تعالى الذى يحيى العظام وهى رميم، فقامت دجاجة سوية، حكاية مشهورة. وذكروا ان الشيخ ابيوسف الدهمانى مات **صاحبه** فجزع عليه اهله. فلما رأى الشيخ شدة جزعهم جاء الى الميت، وقال له: قم باذن الله فقام وعاش بعد ذلك زمنا طويلا. وحكاية الشيخ زين الدين الفارقى الشافعى (١) مدرس الشافعية شهير، وقد سمعتها عن لفظ ولده ولي الله

١. هو عبد الله بن مروان بن عبد الله خطيب دمشق ولد سنة ٦٣٣ وتوفى سنة ٧٠٣ رحمه الله ونفعنا

الشيخ فتح الدين يحيى، فحكى لنا ما سنحكيه فى ترجمة والده، مما حاصله انه وقع فى داره طفل صغير من سطح فمات فدعا الله فأحياه. قلت: عبارته ثمه. وحكى لى غير واحد، منهم ابنه ولي الله الشيخ فتح الدين يحيى، وهو ثقة ثبت سيد كبير، ان الشيخ زين الدين نزل به بعض اصحابه ضيفا، ومعه اهله وابنة له صغيرة، فوقع من رأس شجرة فى الدار وأيس منها. فلما اخبر بخبرها قال: والله لا ارفع رأسى حتى تقوم هذه الصغيرة. وسجد فلم يرفع رأسه حتى اخبر باستقلالها فى اسرع وقت. انتهت. ولا سبيل الى استقصاء ما يحكى من هذا النوع لكثرتة وانا أومن به، غير انى أقول: لم يثبت عندى، ان وليا حى له ميت مات من ازمان كثيرة بعد ما صار عظما رميما، ثم عاش بعد ما حى له زمانا كثيرا. هذا القدر لم يبلغنا ولا اعتقدته وقع لأحد من الاولياء. ولا شك فى وقوع مثله للأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل هذا يكون معجزة، ولا تنتهى اليه الكرامة، فيجوز ان يجيئ نبي قبل اختتام النبوة باحياء امم انقضت قبله بدهور، ثم اذا عاشوا استمروا فى قيد الحياة ازمانا. ولا اعتقد الآن ان وليا يحيى لنا الشافعى وابا حنيفة حياة يقيان معها زمانا طويلا، كما عمرا قبل الوفاة، بل ولا زمانا قصيرا يخالطان فيه الاحياء، كما خالطاهم قبل الوفاة. النوع الثانى كلام الموتى، وهو اكثر من النوع قبله، وروى مثله عن ابى سعيد الخواز رضى الله عنه، ثم عن الشيخ عبد القادر رضى الله عنه، وعن جماعة من آخرهم بعض مشايخ الشيخ الامام الوالد رحمه الله. ولست اسميه النوع الثالث انفلاق البحر وجفافه والمشي على الماء، وكل ذلك كثير. وقد اتفق مثله لشيخ الاسلام وسيد المتأخرين تقى الدين ابن دقيق العيد. الرابع انقلاب الاعيان، كما حكى ان الشيخ عيسى هتار اليمنى ارسل اليه شخص مستهزئه انائين خمرا نصب احدهما فى الآخر، وقال: بسم الله كلوا، فأكلوا، فاذا هو سمن لم ير مثل لونه وريحه، وقد اكثروا فى ذكر نظير هذه الحكاية. الخامس انزواء الارض لهم، بحيث حكوا ان بعض الاولياء كان فى جامع طرسوس، فاشتاق الى زيارة الحرم، فادخل رأسه فى جيبته ثم اخرجه وهو فى الحرم. والقدر المشترك من الحكايات فى هذا النوع بالغ مبلغ التواتر ولا ينكره الا مباحة. السادس كلام الجمادات والحيوانات. ولا شك فيه **توفى** كثرته، ومنه ما حكى ان ابراهيم بن ادهم جلس فى طريق بيت المقدس تحت شجرة رمان، فقالت له: يا ابا اسحاق اكرمنى بان تأكل منى شيئا. قالت ذلك ثلاثا. وكانت شجرة قصيرة ورماتها حامض، فأكل منها رمانة فطالت وحلا رمانها، وحملت فى العام مرتين وسميت رمانة العابدين. وقال الشبلى: عقدت انى لا آكل الا من حلال، فكنت ادور فى البرارى،

شجرة تين فمددت يدي لآكل منها، فنادتني الشجرة: احفظ عليك عقدك ولا تأكل مني فاني يهودي. فكففت يدي. السابع ابراء العليل، كما روى عن السري في حكاية الرجل الذي لقيه ببعض الجبال يرى الزمنى والعميان والمرضى، وكما روى عن الشيخ عبد القادر انه قال لصبي مقعد مفلوج أعمى مجذوم: قم باذن الله تعالى فقام لا عاهة به. الثامن طاعة الحيوانات لهم، كما في حكاية الاسد مع ابي سعيد ابن ابي الخير الميهني، وقبله ابراهيم الخواص، بل وطاعة الجمادات، كما في حكاية سلطان العلماء شيخ الاسلام عزالدين ابن عبد السلام، وقوله في واقعة الفرنج: ياريح خذهم فأخذتهم. قلت: ملخص هذه الحكاية، كما ذكره في ترجمته، ان الفرنج وصلوا الى المنصورة في المراكب، واستظهروا على المسلمين. وكان الشيخ اذذاك مع العسكر وقويت الريح، فلما رأى حال المسلمين نادى باعلى صوته مشيرا بيده الى الريح: ياريح خذهم عدة مرار، فعادت الريح على مراكب الفرنج فكسرتها. وكان الفتح وغرق اكثر الفرنج. وصرخ بين يدي المسلمين صارخ: الحمد لله الذي ارانا من امة محمد صلى الله عليه وسلم رجلا سخر له الريح. التاسع طي الزمان. العاشر نشر الزمان. وفي تقرير هذين القسمين عسر علي الافهام. وتسليمه لاهله اولى بذي الايمان. والحكايات فيهما كثيرة. الحادي عشر استجابة الدعاء، وهو كثير جدا وشاهدناه من جماعة. الثاني عشر امساك اللسان عن الكلام وانطلاقه. الثالث عشر جذب بعض القلوب في مجلس كانت فيه غاية **الفطرة**. الرابع عشر الاخبار ببعض المغيبات والكشف، وهو درجات تخرج عن حد الحصر. الخامس عشر الصبر على عدم الطعام والشراب المدة الطويلة. السادس عشر مقام التصريف، فقد حكى عن جماعة منهم الشيء الكثير، وذكر ان بعضهم كان يبيع المطر. وكان من المتأخرين الشيخ ابو العباس الشاطر يبيع المطر الاسعاد بالدرهم. وكثرت الحكايات عنه في هذا الباب، بحيث لم يبق للذهن سانح في انكارها. السابع عشر القدرة على تناول الكثير من الغداء. الثامن عشر الحفاظ عن اكل الحرام، كما حكى عن الحارث المحاسبي انه كان يرتفع الى انفه زفورة من المأكول الحرام فلا يأكله. وقيل: كان يتحرك له عرق. وحكى نظيره عن الشيخ ابي العباس المرسى. وقيل: ان بعض الناس امتحنه واحضر له مأكلا حراما فيجرد ما وضعه بين يديه. قال: ان كان محاسبي يتحرك منه عرق فانا يتحرك مني عند حضور الحرام سبعون عرقا. ونهض من ساعته وانصرف. التاسع عشر رؤية المكان البعيد من وراء الحجب، كما قيل ان الشيخ ابا اسحاق الشيرازي كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد. العشرون الهبة التي لبعضهم،

بحيث مات من شاهده بمجرد رؤيته، كصاحب ابى يزيد البسطامى الذى قدمنا حكايته،
 اوبحيث افحم بين يديه، واعترف بما لعله كتمه عنه، اوغير ذلك، وهو كثير. قلت: اراد
 بحكاية صاحب ابى يزيد التى قدمها ما ذكره نقلا عن ناصر الدين ابن المنير المالكى ان
 ابا تراب النخشبى كان له تلميذ، وكان الشيخ يرفق به ويتفرس فيه الخير. وكان ابو تراب
 كثيرا ما يذكر ابايزيد البسطامى، فقال له الفتى يوما: لقد اكثرت من ذكر ابى يزيد، من
 يتجلى له الحق فى كل يوم مرات، ماذا يصنع بابى يزيد، فقال له ابو تراب: ويحك يا
 فتى لو رايت ابا يزيد لرايت مرأى عظيما. فلم يزل يشوقه الى لقائه حتى عزم على ذلك
 فى صحبة الشيخ ابى تراب، فارتحلا الى ابى يزيد فقبل لهما انه فى الغيضة، وكانت له
 غيضة يابى إليها مع السباع، فقصدا الغيضة وجلسا على ربوة على سحر ابى يزيد. فلما
 خرج ابو يزيد من الغيضة قال ابو تراب للفتى: هذا ابو يزيد. فعند ما وقع بصر الفتى
 على ابى يزيد خر ميتا. فحدث ابو تراب ابا يزيد بقصته وعجب من ثبوته لتجلى الحق
 سبحانه وتعالى وعدم تماسكه لرؤية ابى يزيد، فقال ابو يزيد لابي تراب: كان هذا الفتى
 صادقا، وكان الحق يتجلى له على قدر ما عنده، فلما رآنى تجلى له الحق على قدرى
 فلم يطق. قال ناصر الدين: واصطلاح اهل الطريق معروف، وحاصله رتبة من المعرفة
 جليلة وحالة من اليقظة والحضرة سرية سنية، والايمان يزيد وينقص على الصحيح. ولا
 تظنهم يعنون بالتجلى رؤية البصر التى قيل فيها لموسى عليه السلام على خصوصيته:
 ﴿لن ترانى﴾، والتى قيل فيها على العموم لا تدركه الابصار. فاذا فهمت ان مرادهم الذى
 اثبتوه غير المعنى الذى حصل الناس منه على الناس فى الدنيا، ووعد به الخواص فى
 الأخرى، فلاضير بعد ذلك عليك، ولا طريق لسوء الظن اليك، والله يتولى السرائر. قال
 - اعنى التاج السبكي - عقب ذلك: وهذا فى تفسير التجلى يقرب من قول ابى محمد
 ابن عبد السلام رحمه الله، ان التجلى والمشاهدة عبارة عن العلم والعرفان. واعلم ان
 القوم لا يقتصرون فى تفسير التجلى على العلم، ولا يعنون به اياه، ثم لا يفصحون بما يعنون
 افصاحا، وانما يلوحون تلويحا، ثم يصرحون بالبراءة مما يوجب سوء الظن بتصريحا. وقد
 ذكر القشيرى رحمه الله باب الستر والتجلى ثم باب المشاهدة ولم يفصح بتفسير
 التجلى، كانه خشى على فهم من ليس من اهل الطريق، وعرف ان السالك يفهمه فلم
 يحتج الى كشفه له. وحاصل مايقوله متأخرو القوم ان التجلى ضربان: ضرب للعوام، وهو
 ان يكشف صورة، كما جاء جبريل عليه السلام فى صورة دحية رضى الله عنه. قالوا:
 وهذا تجلى الصفة، ويضربون لذلك المرأة مثلا، فيقولون:

انت تنظر وجهك فى المرآة وليست المرآة محلا لوجهك ولا وجهك حالا فيها، وانما هناك مثالها. تعالى الله عن ان يكون له مثال، وانما يذكرون هذا تقريبا للأفهام. وضرب للخواص، وهو تجلى الذات نفسها، ويذكرون هنا لتقريب الفهم الشمس، قالوا: فانك ترى ضوء النهار فتحكم بوجود الشمس وحضورها برؤيتك الضوء. قالوا: وهذا تقريب ايضا، والا فتور البارى لوسطع لأحرق الوجود باسره الا من ثبته الله. وقد يعتضدون بحديث ابى ذر رضى الله عنه: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: هل رايت ربك، قال نور انى اراه. وفى لفظ رأيت نورا. اخرجه مسلم والترمذى، ولكنه حديث مؤول باتفاق المسلمين. هذا حاصل كلام القوم: وانا معترف بالقصور عن فهمه وضيق المحل عن بسط العبارة فيه. وقد جالست فى هذه المسئلة الشيخ قطب الدين محمد بن اسفهدا الارديلى - **اماد** الله من بركته - وقلت له: اتقولون بان الذى يراه العارف فى الدنيا هو الذى وعده الله فى الآخرة، قال: نعم. قلت: فبم تتميز رؤية يوم القيامة، قال: بالبصر. فان الرؤية فى الدنيا فى هذين الضربين، انما هى بالبصيرة دون البصر. قلت: فقد اختلف فى جواز رؤية الله تعالى فى الدنيا. قال: الحق الجواز. قلت: فلا فارق حينئذ، وتجوز الرؤية بالبصر فى الدنيا. قال: الفارق انه فى الآخرة معلوم الوقوع للمؤمنين كلهم، وفى الدنيا لم يثبت وقوعه الا للنبي صلى الله عليه وسلم. وفى بعض ذوى المقامات العلية. هكذا قال. ومما قلت له: وقد ضرب المرآة مثلا قد يقال ان هذا نوع من الحلول، والحلول كفر. قال: لا، فان الحلول معناه ان الذات تحل فى ذات اخرى، والمرآة لا تحل الصورة فيها. هذا كلامه. قلت له: فما المشاهدة غير التجلى، قال: المشاهدة دوام تجلى الذات، والتجلى قد يكون معه مشاهدة، وهو ما اذا دام، وقد لا يكون. انتهى. واقول اذا تبرأ القوم من تفسير التجلى بما لا يمكن ولايجوز وصف الرب تعالى به. فلا لوم عليهم بعد ذلك، غير انهم مصرحون بانه غير العلم و العرفان. انتهى ملخصا. الحادى والعشرون كفاية الله تعالى اياهم شر من يريد بهم سوء وانقلابه خيرا كما اتفق للشافعى رضى الله عنه مع هارون الرشيد رحمه الله. قلت: اشار بهذا الى ما ذكره فى موضع آخر بسنده الى الفضل بن الربيع، قال: دخلت على هارون الرشيد، فاذا بين يديه ضبارة سيوف وانواع العذاب. فقال لى: يا فضل، فقلت: لبيك يا امير المؤمنين. قال: علي بهذا الحجازى يعنى الشافعى رضى الله عنه. فقلت انا لله وانا اليه راجعون، ذهب هذا الرجل، قال: فاتيت الشافعى رضى الله عنه، فقلت له: اجب امير المؤمنين، فقال: اصلى ركعتين، فقلت: صل. فصلى ثم ركب بغلة كانت له، فسرنا معا الى دار الرشيد، فلما دخلنا الدهليز الاول

حرك الشافعي رضى الله عنه شفتيه، فلما دخلنا الدهليز الثانى حرك شفتيه، فلما وصلنا بحضرة الرشيد قام اليه امير المؤمنين كالمشرئب له، فأجلسه موضعه. وقعد بين يديه يعتذر اليه، وخاصة امير المؤمنين، قيام ينظرون الى ما اعد له من انواع العذاب، فاذا هو جالس بين يديه، فتحدثوا طويلا ثم اذن له بالانصراف. فقال لى: يا فضل، قلت: لبيك يا امير المؤمنين. فقال: احمل بين يديه بدرة. فحملت، فلما صرنا الى الدهليز الاول، قلت: سألتك بالذى صير غضبه عليك رضا الا ما عرفتني ما قلت فى وجه امير المؤمنين حتى رضى. فقال لى: يا فضل، فقلت له: لبيك ايها السيد الفقيه، قال: خذ منى واحفظ عني، قلت: ﴿شهد الله انه لا اله الا هو﴾ الآية، اللهم انى اعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة وطارق الجن والانس الا طارقا يطرقني بخير يا ارحم الرحمين. اللهم بك ملاذى فبك الود. وبك غياثي فبك اغوث، يامن زلت له رقاب الفراغة، وخضعت له مقاليد الجبابة. اللهم ذكرك شعارى ودثارى ونومى وقرارى. اشهد ان لا اله الا انت، اضرب علي سرادقات حفظك، وقنى رعى بخير منك يارحمن. قال الفضل: فكتبته وجعلتها كورة عمامتى فى بركة **قباى**، وكان الرشيد كثير الغضب علي، وكان كلما هم ان يغضب أحركها فى وجهه فيرضى. فهذا مما ادركت من بركة الشافعي رضى الله عنه. الثانى والعشرون التطور باطوار مختلفة، وهذا الذى تسميه الصوفية بعالم المثال، ويشبتون عالما متوسطا بين عالمى الاجسام و الارواح سموه عالم المثال، وقالوا هو الطف من عالم الاجسام واكتف من عالم الارواح، و بنوا عليه تجسد الارواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المثال واستأنسوا له بقوله تعالى: ﴿تمثل لها بشرا سويا﴾. ومنه ما حكى عن قضيب البانى الموصلى، وكان من الابدال، انه اتهمه بعض من لم يره يصلى بترك الصلاة، وشدد النكير عليه، فتمثل له على الفور فى صور مختلفة، وقال: فى أى هذه الصور رأيتنى ما اصى. ولهم من هذا النوع حكايات كثيرة. ومما اتفق لبعض المتأخرين انه وجد فقيرا شيخا كبيرا يتوضأ بالقاهرة فى المدرسة الشرفية من غير ترتيب. فقال له: يا شيخ تتوضأ بلا ترتيب، فقال له: ما توضأت الا مرتبا، ولكن انت لا تبصر لو ابصرت لابصرت هكذا. واخذ بيده واره الكعبة ثم فر به الى مكة، فوجد نفسه فى مكة واقام بها سنين، فى حكاية يطول شرحها. الثالث والعشرون اطلاق الله اياهم على ذخائر الارض، كما قدمناه فى حكاية ابى تراب لما ضرب برجله الارض فاذا عين ماء زلال. قلت: اراد بهذه الحكاية ما ذكره من ابى العباس الرقى، قال: كنا مع ابى تراب النخشبى فى طريق مكة، فعدل عن الطريق الى ناحية، فقال له بعض اصحابه

انا عطشان، فضرب برجله فاذا عين من ماء زلال، فقال الفتى: احب ان اشربه فى قدح، فضرب بيده الارض فناوله قدحا من زجاج ابيض كاحسن مارايت، فشرب وسقانى، ومازال القدح معنا الى مكة. فقال لى ابو تراب يوما: ما يقول اصحابك فى هذه الامور التى يكرم الله عباده فقلت مارايت احدا الا وهو مؤمن بها فقال من لايؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الاحوال فقلت: ما اعرف لهم قولا فيه فقال: بلى، قد زعم اصحابك انها خدع من الحق، وليس الامر كذلك، وانما الخدع فى حال السكون اليها. فاما من يقترح ذلك فذلك مرتبة الريانيين. قال التاج السبكي قول ابى تراب: من لايؤمن بها فقد كفر بالغ فى الحط على منكريها. وقد تؤول لفظة الكفر فى كلامه و تحمل على انه لم يعن الكفر المخرج عن الملة، ولكنه كفر دون كفر الخ. قال: وعن بعضهم انه عطش ايضا فى طريق الحج فلم يجد ماء عند احد، فوجد فقيرا قد ركز عكازه فى موضع والماء ينبع من تحت عكازه، فمأقربه ودل الحجيح عليه فجاءوا فملؤا اوانيهم من ذلك الماء. الرابع والعشرون ماسهل لكثير من العلماء من التصانيف فى الزمن اليسير، بحيث وزع زمان تصنيفهم على زمان اشتغالهم بالعلم الى ان ماتوا، فوجد لايفى به نسخا فضلا عن التصنيف. وهذا قسم من نشر الزمان الذى قدمناه، فقد اتفق النقلة على ان عمر الشافعى رحمه الله لايفى بعشر مابرزه من التصانيف مع ما ثبت عنه من تلاوة القرآن كل يوم ختمة بالتدبر، وفى رمضان كل يوم ختمتين. كذلك واشتغاله بالدرس والفتاوى والذكر والفكر والامراض التى كانت تعتريه بحيث لم يخل رضى الله عنه من علة او علتين او اكثر، وربما اجتمع فيه ثلاثون مرضا. وكذلك امام الحرمين ابو المعالى الجوينى رحمه الله حسب عمره وما صنفه مع ما كان يلقيه على الطلبة، ويذكر به فى مجالس الذكر، فوجد لا يفى به. وقرأ بعضهم ثمانى ختمات فى اليوم الواحد. وامثال هذا كثيرة. وهذا الامام الربانى الشيخ محي الدين النووى رحمه الله، وزع عمره على تصانيفه، فوجد انه لوكان ينسخها فقط لما كفاها ذلك العمر، فضلا عن كونه يصنفها، فضلا عما كان يضمه اليها من انواع العبادات، وغيرها. وهذا الشيخ الامام الوالد رحمه الله، اذا حسب ما كتبه من التصانيف مع ماكان يواظبه من العبادات، ويمليه من الفوائد، ويذكره فى الدروس من العلوم، ويكتبه على الفتاوى، ويتلوه من القرآن، ويشغل به من المحاكمات، عرف ان عمره قطعاً لا يفى بثلث ذلك. فسبحان من يبارك لهم ويطوى لهم وينشر. الخامس والعشرون عدم تأثير السمومات وانواع المتلفات فيهم، كما اتفق ذلك للشيخ الذى قال له بعض الملوك: اما ان تظهر لى آية، والا قتلت الفقراء. وكان

جربه بحر جمال فقال: انظر فاذا هي ذهب. وعنده كوز ليس فيه ماء فأخذه ورمى به في الهواء، فأخذه ورده ممتلئا ماء وهو منكس لم يخرج منه قطرة. فقال الملك: هذا سحر. واولد ناراً عظيمة ثم امر بالسماح، فلما دار فيهم الوجد دخل الشيخ والفقراء في النار ثم خرج، فخطف ابنا صغيرا للملك فدخل به وغاب ساعة بحيث كاد الملك يحترق على ولده، ثم خرج بدون يده احدى يدي الصبي تفاحة وفي الاخرى رمانة، فقال له ابوه: اين كنت، قال: في بستان. فقال جلساء الملك: هذا صنعة لا حقيقة له، فقال له الملك: ان شريت هذا القدر من السم صدقتك، فشربه وتمزقت ثيابه عليه، ثم القوا عليه غيرها فتمزقت، ثم هكذا مرارا الى ان نبتت عليه الثياب وانقطع عنه عرق كان اصابه ولم يؤثر فيه السم ضررا. واطن انواع كراماتهم تربو على المائة، وفيما اورده دلالة على ما اهملته، ومقنع وبلاغ لمن زالت عنه غفلته. وما من نوع من هذه الانواع الا وقد كثرت فيه الاقاصيص والروايات، وشاعت فيه الاخبار والحكايات. وماذا بعد الحق الا الضلال، ولا بعد بيان الهدى الا المحال. وليس للموفق غير التسليم وسؤال ربه ان يلحقه بهؤلاء الصالحين، فانهم على صراط مستقيم. ولو حاولنا حصر ما جرى لهم لضيعنا الانفاس وضيعنا القرطاس. الى هنا انتهى كلام التاج السبكي رضى الله عنه ونفعنا به، لم احذف منه كثيرا، ولم ازد عليه الا نورا يسيرا، على ان ما زدته عليه انما هو من كلامه نفسه في موضع آخر، تخفيفا لمؤنة المراجعة عن المطالعين، وزيادة في افادة الراغبين. والله الموفق للصواب، واليه المرجع والمآب.

فصل في نقل كلام المحقق ابن حجر الهيتمي

وهو كالتلخيص لما تقدم عن التاج السبكي غالبا، وفيه زيادة وتحقيق وتحرير كما لا يخفى عند العالم التحرير، وسأقل عنه مباحث آخر مناسبة للباب وأترجمها بالمسائل ان شاء الله تعالى. قال رضى الله عنه: الحق الذى عليه اهل السنة والجماعة من الفقهاء والاصوليين والمحدثين وكثيرون من غيرهم خلافا للمعتزلة ومن قلدهم في بهتانهم من غير رؤية ولا تأمل. وكان الاستاذ ابو اسحاق يميل الى قريب من مذهبهم او يؤل كلامه اليه - كما هو الظاهر - ان ظهور الكرامة على الاولياء - وهم القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق عبادته، بجمعهم بين العلم والعمل، وسلامتهم من الهفوات والزلل - جائزة عقلا كما هو واضح، لانها من جملة الممكنات. ولا يمتنع وقوع شئ لقبح عقلى لانه لاحكم للعقل، وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة بوجه، فانها لاتدل لعينها بل

الرسالة، فكما جاز تصديق مدعيها بما يوافق دعواه جاز ان يصدر عنه مثله اكراما لبعض اوليائه، وسيأتى لذلك مؤيد فى تحقيق الفرق بينهما، وواقعة نقلها مفيدة لليقين من جهة مجيئ القرآن به، ووقوع التواتر عليه قرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل، وكتب العلم شرقا وغربا، وعجما وعربا، ناطقة بوقوعها متواترة تواترا معنويا لا ينكره الا غبي او معاند. فمما فى القرآن مجيئ رزق مريم اليها من الجنة، وهزها لجذع النخلة حتى تساقط عليها منه الرطب الجنى من غير اوان الرطب، وعجائب الخضر بناء على المرجوح انه ولي لا نبي، وقصة ذى القرنين واصحاب الكهف وكلام كلهم لهم، وقصة الذى عنده علم الكتاب وهو آصف بن برخيا فى احضاره لعرش بلقيس قبل رمش العين من مسيرة اكثر من شهر. ومما فى السنة تكليم الطفل لجريج وانفراج الصخرة عن الثلاثة الذين فى الغار بدعائهم، وتكثير طعام ابي بكر رضى الله عنه فى قصة ضيفه حتى صار بعد الاكل اكثر مما كان قلبه بثلاث مرات. روى هذه الثلاثة البخارى ومسلم. ورويا ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال فى حق عمر رضى الله عنه انه من المحدثين - بفتح الدال - اى الملهمين. وصح ايضا عنه رضى الله عنه انه بينما هو يخطب على منبر المدينة يوم الجمعة واذا هو ينادى فى حال خطبته ياسارية الجبل، فعجب الناس لذلك وانكروا عليه حتى قال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بعد ذلك وشدد عليه وأخبره بما قال الناس فيه، ثم ظهر لهم قريبا الواقعة وصدقها وما فيها من الكرامات. ومنها الكشف له عن حال سارية والمسلمين وعدوهم. ومنها بلوغ صوته لسارية حتى سمع واهتدى سارية الى ان هذا صوت عمر رضى الله عنه مع بعد الشقة فانه بنهاوند من ارض العجم ومعه سرية من المسلمين فكمن لهم عدوهم فى الجبل ليستأصلوهم، فكشف لعمر رضى الله عنه عن حالهم فناده يحذره للكمين الذى بجانب الجبل فبلغه صوته فسمعه فاستيقظوا للكمين وظفروا بهم. وروى البخارى فى صحيحه مجيئ العنقود من العنب فى غير اوانه الى خبيب رضى الله عنه لما اريد قتله بمكة، وفيه ايضا ان اسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله عنهما خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين ايديهما. وروى البخارى ومسلم ان كلا من سعد وسعيد من العشرة المبشرين بالجنة دعا على من كذب عليه فاستجيب له بعين ماسأله. وصح فى مسلم رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب، لو اقسم على الله لا برة، قيل لو لم يكن الا هذا الحديث لكفى فى الدلالة لهذا المبحث. واذا تقرر جوازها ووقوعها من غير احصاء ولا حصر فالذى عليه معظم الائمة انه يجوز بلوغها

مبلغ المعجزة في جنسها وعظمها، وانما تفترقان في ان المعجزة تقترون بدعوى النبوة، اى باعتبار الجنس او ما من شأنه، والا فاكثر معجزات الانبياء لاسيما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقعت من غير ادعاء نبوة. والكرامة تقترون بدعوى الولاية او تظهر على يد الولي من غير دعوى شئ، وهو الاكثر. فمن اولئك الأئمة الامام ابو بكر بن فورك ثم ساق عبارته التي في التعريف، امام الحرمين ومخلص عبارة ارشاده الذي صار اليه اهل الحق انخراق العادات في حق الاولياء ثم مجوزو الكرامات تحزبوا احزابا، فمنهم من شرط ان لا يختارها الولي، وبهذا فرقوا بينها وبين المعجزة وهذا غير صحيح. ومنهم من منع وقوعها على قضية دعوى الولاية لثلا تشابه المعجزة، وهذا غير مرضي عندنا بل قد تقع مع دعوى ذلك. ومن اصحابنا من شرط ان لا تكون معجزة لنبى كافلاق البحر واحياء الموتى وهذا غير سديد. والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العادات في معارض الكرامات، ثم ذكر بعد ان الكرامة والمعجزة ليس بينهما فرق الا وقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة والكرامة دون ادعائه النبوة. والامام ابوحامد الغزالي فانه شرط في تسمية الخارق معجزة اقترانه بدعوى النبوة فاقضى انه لا فرق بينها وبين الكرامة الا ذلك. ومن ثم قال في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد لما ذكر خوارق العادات في الكرامات. وذلك اى خرق العادة مما لا يستحيل في نفسه لانه ممكن لا يؤدي الى بطلان المعجزة لان الكرامة عبارة عما يظهر من غير اقتران التحدى فان كان مع التحدى فاننا نسميه معجزة. و الفخر الرازى والبيضاوى فانهما لم يفرقا بينهما الا بتحدى النبوة. وكذلك حافظ الدين النسفى فانه قال: لا يقال لو جازت الكرامة لانسد طريق الوصول الى معرفة النبى صلى الله عليه وسلم، لان المعجزة تقارن دعوى النبوة ولو ادعاها الولي كفر من ساعته. وسبقهم لذلك الامام ابو القاسم القشيري حيث قال: شرائط المعجزة كلها اواكثرها توجد في الكرامة الا دعوى النبوة. قال الامام اليافعى بعد نحو ذلك عن هؤلاء الائمة و غيرهم، فهؤلاء اتفقوا على ان الفارق بينهما هو تحدى النبوة فقط، ولم يشترط احد منهم كون الكرامة دون المعجزة في جنسها وعظمها، فدل ذلك على جواز استوائهما فيما عدا التحدى كما صرح به امام الحرمين. فيجوز اجتماعهما فيما عداه من سائر الخوارق حتى احياء الموتى. ففي رسالة القشيري باسناده الى ابى عبد الله التستري انه خرج غازيا في سرية فمات المهر الذي تحته وهو في البرية فقال يا رب اعرنه حتى نرجع الى تستر يعنى قريته. فاذا المهر قائم فلما غزا و رجع الى تستر قال لابنه: خذ السرج عن المهر فقال: انه عرق فيضره الهواء،

فقال: يا بني انه عارية، فاحذ السرج فوقع المهر ميتا. وفيها انه انطلق للغزو على حماره فمات فتوضأ وصلى ودعا الله تعالى ان يبعث له حماره ولا يجعل عليه منة لاحد فقام الحمار ينفض اذنيه. وفيها ايضا عن اعرابي انه سقط جملة ميتا ووقع رحله وقتبه فدعى ربه فقام الجمل وفوقه رحله وقتبه. وفيها ايضا عن سهل التستري انه قال: الذاكر لله على الحقيقة لو هم ان يحيي الموتى لفعل يعنى باذن الله تعالى و مسح بيده على عليل بين يديه فبرئ وقام. قال اليافعي: وأخبرني بعض صالحى اهل اليمن ان الشيخ الاهدل - بالمهملة - شيخ ابي الغيث رحمهم الله كانت عنده هرة يطعمها فضر بها الخادم فقتلها ورمها في خربة، فسأله الشيخ عنها بعد ليلتين او ثلاث فقال لا ادرى فناداها الشيخ فأثت اليه واطعمها على عادته. قال: واخبرني مغربي صالح عالم اعتقده باسناده ان بعض اصحاب الشيخ ابي يوسف الدهماني مات فحزن عليه اهله، فأتى اليه وقال: قم باذن الله تعالى، فقام وعاش ما شاء الله تعالى من الزمان. وقال ومن المشهور ما روى مسندا من خمس طرق عن جماعة من الشيوخ الاجلاء ان القطب الشيخ عبد القادر نفع الله به جاءت اليه امرأة بولدها وخرجت عند الله تعالى ولد فقبله ثم امره بالمجاهدة فدخلت امه عليه فوجدته نحىلا مصفرا يأكل قرص شعير، فدخلت على الشيخ فوجدت بين يديه اناء فيه عظم دجاجة قد أكلها فقالت ياسيدى تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير فوضع يده على ذلك الطعام وقال قومى بالله محي العظام فقامت الدجاجة سوية وصاحت وقال الشيخ اذا صار ابنك هكذا فليأكل الدجاج وما شاء. وقالوا مرت بمجلسه حدة في يوم شديد الحر وهو يعظ الناس فشوشت على الحاضرين فقال يا ربح خذى رأس هذه الحدة فوقعت لثاني وقتها بناحية ورأسها في ناحية فنزل الشيخ واخذها في يده وامد يده الاخرى عليها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم قومى باذن الله فحييت وطارت والناس ينظرون وقد تكلمهم الموتى. ففي رسالة القشيري عن ابي سعيد الخراز رضى الله عنه انه كان مجاورا بمكة فمر بباب بنى شيبه فرأى شابا حسن الوجه ميتا فنظر في وجهه فتبسم وقال: يا ابا سعيد اما علمت ان الاحياء احياء، وان ماتوا وانما ينقلون من دار الى دار. وجاء مسندا من ثلاث طرق ان الشيخ عبد القادر رضى الله عنه زار ومعه ناس كثيرون قبر الشيخ حماد الدباس فأطال الوقوف عنده ثم انصرف مسرورا فسئل فأخبر انه مر مع الشيخ حماد واصحابه على قنطرة بغداد لصلاة الجمعة فدفعه فى النهر امتحانا له بشدة البرد فلم يتأثر. فأخبر اصحابه بانه جبل لا يتحرك وانه رأى الشيخ حمادا فى قبره على احسن هيئة الا ان

يده اليمنى لا تطيعه. قال: فقلت له ما هذا، قال: هذه اليد التى رميتك بها فهل انت غافر لى ذلك، فقلت نعم، قال فاسأل الله تعالى ان يردها علي فوقفت اسأل الله تعالى فى ذلك وقام معى خمسة الاف ولي فى قبورهم يسألون الله تعالى ان يقبل مسألتى فيه ويتشفعون عندى فى تمام المسألة. فما زلت أسال الله تعالى فى ذلك حتى رد الله تعالى يده وصافحنى بها. ثم اجتمع المشايخ وطلبوا برهانا على هذه القصة فقال لهم: اختاروا لكم رجلين نبين لكم ذلك على لسانهما، فاختاروا شخصين غائبين وقالوا: نمهلك فقال: لاتقوموا حتى تسمعوا منهما فلم يلبثوا حتى جاء احدهما يشتد عدوا فقال: اشهدنى الله الساعة الشيخ حمادا، وقال لى: يا يوسف، اسرع الى مدرسة الشيخ عبد القادر، وقل للمشايخ الذين فيها صدق الشيخ عبد القادر فيما اخبر به عنى، فلم يتم كلامه حتى جاء الآخر واخبر بمثل ما اخبر به، فقاموا واستغفروا. وكانفلاق البحر وجفاه فى الرسالة عن بعضهم، كنا فى مركب فمات رجل منا فأخذنا فى جهازه، فلما اردنا ان نلقيه فى البحر جف، فحفرنا له قبرا ودفناه فارتفع الماء والمركب وسرنا. وكانقلاب الاعيان وهو كثير لا يحصى منه انقلاب الخمر سمنا كما وقع للشيخ عيسى الهتار اليمنى فانه مر على بغى، فواعدها ليأتيتها بعد العشاء ففرحت وتزينت، وجاء ودخل بيتها وصلى ركعتين ثم خرج وقال حصل المقصود فتابت وزوجها لبعض الفقراء، وامر بعمل عصيدة وليمة وان لا يشتري لها اداما ثم حضر هو والفقراء كالمنتظرين الادام، وكان وصل الخبر لأمير خدن لها فأرسل بقارورتى خمر يمتحن الشيخ بهما ليأندموا بهما، فأخذهما الشيخ فصبهما سمنا اطيب ما يوجد، فأكل منه الرسول وبلغ الخبر الأمير فحضر وأكل ما ادهشه فتاب لوقته. كطي الارض لهم وتعدد صور جسدهم فى امكنة مختلفة وتفجير الماء وكلام الجمادات والحيوانات لهم حتى الجن وغير ذلك مما اشتهر وتواتر تواترا دحض حجة المخالفين واباء شبه الجاهلين. قلت: مما حكى فى طاعة الجن للولي ما ذكره الكمال الدميرى فى حياة الحيوان، انه جاء الى سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه رجل من اهل بغداد وذكر له ان بنتا قد اختطفت من سطح داره وهى بكر، فقال له الشيخ رضى الله عنه: اذهب هذه الليلة الى خراب الكرخ، واجلس عند التل الخامس، وخط عليك دائرة فى الارض، وقل وانت تخطها بسم الله على نية عبد القادر، فاذا كانت فحمة العشاء مرت بك طوائف الجن على صور شتى فلا يريك منظرهم، فاذا كان السحر مربك ملكهم فى جحفل منهم، فيسألك عن حاجتك، فقل له، قد بعثنى اليك الشيخ عبد القادر، واذكر له شأن ابتك، قال - اى الرجل - فذهبت وفعلت ما

امرنى الشيخ عبد القادر رضى الله عنه، فمرت بى صور مزعجة المنظر ولم يقدر احد منهم ان يمر على الدائرة التى انا فيها، وما زالوا يمرون زمرا زمرا الى ان جاء ملكهم راكبا فرسا وبين يديه امم منهم فوقف بازاء الدائرة، وقال: يا انسى، ما حاجتك، فقلت: قد بعثنى اليك الشيخ عبد القادر، فنزل عن فرسه وقبل الارض وجلس خارج الدائرة وجلس من معه ثم قال: ما شأنك، فذكرت له قصة ابنتى، فقال: لمن حوله على بمن فعل هذا فاتى بمارد، ومعه ابنتى فقيل له: ان هذا ماردا من مردة الصين، فقال: ما حملك ان اختطفت هذه من تحت ركاب القطب، فقال: انها وقعت فى نفسى، فامر به فضربت عنقه واعطانى ابنتى، فقلت: ما رايت مثل الليلة من امثالك امر الشيخ عبد القادر، فقال: نعم انه فى داره ينظر الى مردة الجن وهم باقصى الارض فيفرون من هيبتته وان الله تعالى اذا اقام قطبا مكنه من الانس والجن. انتهى. قال اليافعى ومما تفارق الكرامة فيه المعجزة ان المعجزة يجب على النبى صلى الله عليه وسلم اظهارها، والكرامة يجب على الولي اخفاؤها الا عند ضرورة او اذن احوال غالب لا يكون له فيه اختيار او تقوية يقين مريد. قال: واطلاق المحققين انه يجوز له اظهارها يحمل على بعض هذه الصور، للعلم بان اظهارها لغير غرض صحيح لا يجوز بخلافه لغرض صحيح. وضابطه ان يكون فى اظهارها مصلحة. ثم مثل بما مر فى النوع الخامس والعشرين. والنوع الثامن عشر فى كلام التاج السبكي. قال المحقق ابن حجر: واما الفرق بين الكرامة والسحر فهو ان الخارق الغير المقارن بتحدى النبوة. فان ظهر على يد صالح وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق خلقه فهو الكرامة، اوعلى من ليس كذلك فهو السحر والاستدراج. قال امام الحرمين: وليس ذلك مقتضى العقل ولكنه متلقى من اجماع العلماء. انتهى. وتميز الصالح المذكور عن غيره بين الاخفاء فيه، اذ ليست السيما كالسيما ولا الآداب كالأداب. وغير الصالح لوليس ما عسى ان يلبس لا بد ان يرشح من نتن فعله او قوله ما يميزه عن الصالح. ومن ثمة ناظر صوفي برهميا. و البراهمة قوم تظهر لهم خوارق لمزيد الرياضات فطار البرهمي فى الجو فارتفعت اليه نعل الشيخ - اى الصوفى - ولم تزل تضرب رأسه وتصنعه حتى وقع على الارض منكوسا على رأسه بين يدى الشيخ والناس ينظرون. اقول: ووقع نظير هذا لشيخنا العارف ابن ابى الحماثل لما كان بفارس كور - بلد قريب من دمياط - فدخلها متوسم بوسم الصوفية، فأظهر لهم من الخوارق ما اوجب لغالب اهل البلد انهم تبعوه، فظهر منه انحلال كثير عن طريق الاستقامة حتى اغوى كثيرين. وكان له مجلس ذكر بالجامع الذى فيه شيخنا، وله به ايضا مجلس ذكر، ففى

فرغ شيخنا من مجلسه، واولئك لم يفرغوا، فانصت ساعة ثم قال: لتاسومته التي يلبسها في الجامع. يا هذه التاسومة اذهبي الى هذا الشيخ فان كان كاذبا فاصنعيه الى ان يخرج من هذا الجامع. فلم يلبث جماعة شيخنا السامعون لكلامه الا وهم يسمعون صوت الصنع في رقبة ذلك الشيخ، ففر وذرت جماعته حتى خرجوا من الجامع ثم من البلد، ولم نعلم اين ذهب ووقع للامام العارف البهائي السندی صاحب الامام السهروردي ان برهميا جاء مجلسه وارتفع فارتفع الشيخ حينئذ في الهواء \ ودار في جانب المجلس فاسلم البرهمي لعجزه عن ذلك، فانهم لا يقدرّون على الدوران في الهواء وانما يرتفع الواحد منهم في الهواء مستويا لا غير. وناظر عبد الله بن حنيف برهميا على حقيقة الاسلام ليطوى مع البرهمي اربعين يوما، فشرعا فعجز البرهمي عن اكمال المدة، واكملها ابن حنيف على غاية من اللذة والقوة. ووقع له مع برهمي ايضا انه ناظره على المكث تحت الماء مدة فمات البرهمي اثناءها وظهرت جيفته وبقي ابن حنيف حتى اكملها ثم ظهر. ومما تفترقان فيه ايضا ان دلالة المعجزة على النبوة قطعية وان النبي يعلم انه نبي ودلالة الكرامة على الولاية ظنية ولا يعلم مظهرها او من ظهرت عليه انه ولي، وقد يعلم ذلك، وفاقا للاستاذين الكبيرين ابي علي الدقاق وابي القاسم القشيري وردا على من نازغ في ذلك بانه ينافي الخوف، فقالا وما يجدونه في قلوبهم من الهيبة والاجلال للحق سبحانه يزيد على كثير من الخوف، انتهى، على ان التحقيق ان علم الولاية لا ينافي الخوف، الا ترى ان العشرة المبشرين بالجنة عالمون بانهم من اهلها، ومع ذلك كان عندهم من الخوف ما لا يحد كما يعلم من سيرهم في ذلك رضوان الله عليهم، وانما كانت الكرامة بعد زمن الصحابة رضى الله عنهم اكثر. قال احمد بن حنبل رضى الله عنه لان اولئك كان ايمانهم قويا فلم يحتاجوا الى زيادة تقوى بخلاف من بعدهم فقروا بزيادة الكرامات. وقال الشهاب السهروردي وهو كالشرح لما قبله، لانهم ببركة رؤيته صلى الله عليه وسلم ومشاهدته مع نزول الوحي تنورت بواطنهم وتركزت نفوسهم وانصقلت مرآة قلوبهم فاستغنوا بما اعطوا عن رؤية الكرامة واستلما انوار القدرة، ووطأ لهذا بقوله: وخرق العادة قد يكشف به لضعف يقين المكاشف رحمة ناجزة وثوابا معجلا لبعض العباد، وفوق هؤلاء قوم ارتفعت الحجب عن قلوبهم وباشرت بواطنهم روح اليقين وصرف المعرفة، فلا حاجة لهم الى رؤية خارق. واجاب اليافي بان الكرامة نور وزين، والنور انما يظهر حسن بهائه في الظلمة والزين انما يظهر كمال حسنه بحسب الشين والظلمة، والشين انما وجدا بعد الصحابة رضى الله عنهم. الا ترى ان الشمس

إذا غربت لا تظهر الظلمة ولا الكواكب عقب غروبها الا بعد مزيد بعدها عن الأفق. وبان الصحابة رضى الله عنهم كانوا اهل حق وسنة وعدل ومن بعدهم بضدهم، فبعث الله تعالى فى سائر البلدان رجالا قلدهم سيوفاً ماضية قطعوا بها مواد الفساد والبدع والمخالفات حتى خافهم الناس واذغوا لهم، اى فمن ثمة كثرت فيهم تلك السيوف المكنى بها، فلا زالت دائمة مستمرة معجزة له صلى الله عليه وسلم. انتهى ملخص جوابيه. والثانى منهما يؤل حاصله الى الجوابين الاولين. **والاول** لا يصلح جواباً لكثرة المسؤل عنها، بل لظهور عظيم موقع الكرامة فى النفوس بعد زمن الصحابة رضى الله عنهم اكثر منه فى زمنهم. وهذا مبحث آخر على انه قد يتوهم من تمثيله بالشمس والكواكب، ان الازمنة المتأخرة فيها من نجوم العارفين وكواكب المهتدين ما ليس فى الازمنة الأول. وهذا وان وجد منه افراد، الا انه بالنسبة لغير الصحابة رضى الله عنهم. اذ الصواب ان من بعدهم وان كمل ما كمل لا يصل الى غايتهم كما قال صلى الله عليه وسلم: لو انفق احدكم مثل جبل احد ذهباً ما بلغ مد احدهم اى الصحابة ولا نصيفه، واما قول ابن عبد البر قد يوجد فى الخلق من هو افضل من الصحابة رضى الله عنهم لحديث امتى كالمطر لا يدري اوله خير ام آخره، واحاديث اخر قريبة منه، فهو مقالة شاذة جداً، وليس فى الاحاديث دلالة، لان بعض المتأخرين قد يوجد له مزايا لا توجد فى بعض الصحابة رضى الله عنهم. ومن المقرر بان المفضل قد يتميز بمزايا. ويؤيد ذلك ان ابن المبارك - وناهيك به امامة وعلماء ومعرفة - سئل: ايما افضل، معاوية او عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما، فقال: والله للغبار الذى دخل انف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة واحد مثل ابن عبد العزيز. يريد بذلك ان شرف الصحبة والرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعادله عمل ولا يوازيه شرف. تتمات منها نقل اليافعى رحمه الله تعالى ان كرمات الاولياء من تنمة معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، لانها تشهد للولي بالصدق المستلزم لكمال دينه، المستلزم لحقيقته، المستلزم لصدق نبيه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به من الرسالة. وكانت الكرامة من جملة المعجزة بهذا الاعتبار. ومنها لا تتعجب من انكار قوم للمعجزات وان بلغت من الكثرة والظهور الى ان صار العلم بها ضرورياً بل بديهياً. فقد انكر قوم القرآن الذى هو اعظم المعجزات وأبهر الآيات ووصل العناد بهؤلاء الى ان قال الله عز وجل فى حقهم ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين﴾. وليس العجب من انكار المعتزلة الكرامات، فانهم قد خاضوا فيما

هو اقبح من ذلك، وانكروا النصوص المتواترة المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم كسؤال الملكين وعذاب القبر والحوض والميزان وغير ذلك من عظيم كذبهم وافتراءهم لتقليدهم لعقولهم الفاسدة وتحكيمهم لها على الله تعالى وآياته واسمائه وصفاته وافعاله. فماراوه من ذلك موافقا لتلك العقول السقيمة الفاسدة اللثيمة، قبلوه ومالا ردوه ولم يبالوا بتكذيب السنة والقرآن والاجماع، لان كلمة الغضب حقت عليهم وقبائح المذام تسابقت اليهم. وانما العجب من قوم تسموا باهل السنة وزعموا انهم من جملة تلك المنة، ومع ذلك يبالغون في الانكار، لان كلمة الحرمان حقت عليهم الى ان الحقتهم باهل البوار واوجبت لهم نوعا من **الوبال** والخسار. وهؤلاء اقسام: فمنهم من ينكر على مشايخ الصوفية ومتابعيهم، ومنهم من يعتقدهم اجمالا، وان لهم كرامات، ومتى عين له احد منهم اورآى كرامة انكر ذلك، لما خيل له الشيطان انهم انقطعوا، وانه لم يبق الا متلبس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبس عليه، وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان ايضا. وقد قرر ابن الجوزى من الوقوع فى خطرهم الا ان تكون له نية صالحة كقصده قمع مبتدعة فى زمانه. وذلك انه صنف كتابا سماه تلبيس ابليس تكلم فيه على شيوخ الصوفية وطريقهم وزعم ان ابليس لبس عليهم. قال اليافعى - ولم يدر انه هو الذى لبس عليه فى كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر -: والعجب كل العجب منه فى انكاره سادات ما بين اوتاد وابدال وصديقين وعارفين بالله قد ملؤا الوجود كرامات وانوارا ومعارف اعرضوا فى بدايتهم عما سوى الله، فحصل لهم فى نهايتهم من فضل الله مالا يعلمه الا الله، فقول الصغير منهم وقفت على باب قلبى عشرين سنة ما جاز به شئى غير الله الا رددته. هذا وهو يطول كلامه بحكاياتهم وينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم، فهلا اخلى كتبه من ذكرهم اخلاء عاما ولا يكون ممن يحلونه عاما ويحرمونه عاما. اما علم ان علماء اعلام الائمة من المجتهدين ومن بعدهم من الائمة لم يزلوا قديما وحديثا يعتقدون الصوفية ويتبركون بهم ويستمدون منهم. ولقد وقع للقي ابن دقيق العيد انه قال فى حق فقير كان يعتقد ويخضع له: هو عندي خير من مائة فقيه او من الف فقيه. وكذلك الامام النووى رضى الله عنه كان يعتقد الشيخ يس المزين ويقبل اشارته حتى انه امره بالسفر ورد ما عنده من الكتب المستعارة قبل موته بقليل، ففعل وسافر من دمشق راجعا لبلده نوى فتوفى بها بين اهلته. وكذلك العز ابن عبد السلام كان يبالغ فى تعظيم الصوفية، وفى حكاية حياة الخضر مايرد على ابن الجوزى فى انكار حياته على انه ناقض نفسه. فانه روى باسناده المتصل

اربع روايات تدل على حياته. منها عن علي كرم الله وجهه انه رآه متعلقا باستار الكعبة، ومنها عن ابن عباس رضى الله عنهما قال، ولا اعلمه الا مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يلتقى الخضر والياس فى كل عام فى الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه. ومنها عن علي كرم الله وجهه: انه يجتمع مع اسرافيل وجبريل وميكائيل بعرفات والحجيج بها. ولقد وقع لمن انكر على فقير فى سماع وبقر بهم نساء انه رأى ذكره فرج امرأة فبغت ساعة طويلة فقام الشيخ وجاءه وقال له: هكذا تكون الفقراء اذا جلس عندهم النساء، فتأب فدعا له الشيخ فعاد لحاله الاول. قلت: ومثل هذا السماع لا يباح الا لمثل هذا الشيخ واتباعه المحفوظين به، مع ان السماع الخالى عن المحرمات الظاهرة فيه اختلاف وتفصيل. وجاء غلمان السلطان لآخذ خراج ارض لبعض الفقراء، فخرج عليهم منها ثعابين فهربوا ولم يزالوا هاربين حتى انقرض الشيخ واولاده فعادوا للآخذ من اولاد الاولاد فخرجت اليهم الثعابين وتبعتهم كذلك. وانا ممن رأى تلك الارض حين خرج منها الثعابين. وسرق لبعض ذرية هذا الشيخ بقرة، فلما اراد السراق حلبها التفت الثعابين بارجلهم، فما خلصوا الا بالمبادرة بردها. انتهى كلام اليافعى - قدس الله سره - ملخصا. ولقد قال الاستاذ العارف ابو الحسن الشاذلى رحمه الله فى قوم يكذبون بكرامات اولياء زمانهم فقط: والله، ماهى الا اسرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم لانهم ادركوا زمنه. ومنها ان من جملة الكرامات الخوارق التى وقعت للانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة كاطلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فليست معجزة لتقدمها على التحدى بل كرامات، وتسمى ارهاصا اى تأسيسا للنبوة. ذكر ذلك جمهور ائمة الاصول وغيرهم. ومنها التحدى اى طلب المعارضة والمقابلة. قال الجوهرى يقال تحدى فلانا اذا باريته فى فعل ونازعته للغلبة. وفى الأساس: حدا - يحدو وهو حادى الابل، واحتدى بها حدوا اذا غنى. ومن المجاز تحدى أقرانه اذا باراهم ونازعهم للغلبة. وأصله الحدو يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان فيتحدى كل واحد صاحبه اى يطلب حده، كما يقال: توفاه بمعنى استوفاه. واصل ذلك انه كان عند الحدو يقوم حاد عن يمين القطار وحاد عن يساره، يتحدى كل منهما صاحبه بمعنى يستحديه اى يطلب منه حده، ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل مباراة. ومنها اختلفوا فى السحر، هل تنقلب به الأعيان والطباع، فقال قوم: نعمو كجعل الانسان حمارا. وقال قوم: لا، فالساحر والصالح لا يقلبان عينا مطلقا. قالوا: والا لاشتبهت المعجزة بالكرامة والكرامة بالسحر. ويرده ما مر من امتياز

المعجزة باقترانها بالتحدى، واما زعمهم ان اكثر آياته صلى الله عليه وسلم واعمها واغلبها كان بلا تحد، كنطق الحصى والجذع ونبع الماء، ولعله لم يتحد بغير القرآن وتمنى الموت، وان عدم تسمية ما عدا هاتين آية ولا معجزة اقرب الى الكفر منه الى البدعة. وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول عند بعضها: اشهد انى رسول الله. وقد سمي الله عز وجل معجزات الانبياء آيات ولم يشترط تحديا. انتهى. فيرد بان المراد بقولهم فى المعجزة لابد من اقترانه بالتحدى بالقوة او الفعل، ولاشك ان كل ما وقع منه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة مقرون بالتحدى، لان قرائن اقواله واحواله ناطقة بدعواه النبوة وتحديه للمخالفين واظهاره ما يقمعهم ويحديهم. فكان كل ما ظهر منه صلى الله عليه وسلم يسمى آيات ومعجزات، وقوله صلى الله عليه وسلم عند ظهور بعضها: اشهد انى رسول الله شاهد صدق على ما ذكرته، فتأمله. ومنها التمييز بين الكرامة والمعجزة بما مر، ان لفظ المعجزة خاص بخوارق الانبياء ولفظ الكرامة خاص بخوارق الاولياء، انما هو اصطلاح الخلف، واما السلف فكانوا يسمون كلا من الامرين معجزا كالامام احمد وغيره، ويخصون خوارق الانبياء باسم الآيه والبرهان، وقد يسمون الكرامة آية لدلالاتها على نبوة من اتبعه ذلك الولي كما مر بيانه. (تنبيه) ليس الاولياء ذوو الكرامات بافضل من غير ذوى الكرامات على الاطلاق، بل قد تنبئ الكرامة على ضعف يقين او همة، فتعجل لمن اريد به عناية حتى يزول عنه كل من دينك او احدهما، بل قد تقع الكرامة لمحِب او زاهد ولا تقع لعارف، مع ان المعرفة افضل من المحبة عند الاكثرين، وأفضل من الزهد عند الكل، لان الزهد من اوائل المقامات، والمحبة اول الاحوال الناشئة عن مجاوزة المقامات. ويؤيد ذلك قول ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه: العارف طيار والزاهد سيار. وقال غيره: وأنى يلحق السيار الطيار. وقال ذوالنون المصرى: الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين. فعلم انه لا دخل للكرامة فى الافضلية وانما منشأ الافضلية قوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى، فكل من كان اقوى يقينا واكمل معرفة كان افضل. ولهذا قال سيد الطائفة ابو القاسم الجنيد - قدس الله سره - :مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش، من هو افضل منهم يقينا، وقال ايضا: اليقين ارتفاع الريب فى مشهد الغيب. وقال سهل التستري: حرام على قلب ان يشم رائحة اليقين وفيه سكون الى غير الله تعالى. ولا يشكل عليك ما مر من حكاية الاطلاق فى التفضيل بين المحب والعارف مع ان العارف لابد ان يكون محبا، لان المراد من ذلك انما هو التفضيل بين غلبة المحبة وغلبة المعرفة، لأن بعضهم يغلب عليه سكر المحبة وشدة الهيمان

والوله بمحبوبه، وبعضهم يغلب عليه المشاهدة وظهور الاسرار والمعارف وكثرة التجليات مع اعتدال حاله فى المحبة فى غالب الحالات فيكون اكثر معارف والاوّل اشدّ ولها وسكرا. ومن ثمّ قال المحققون: المحبة استهلاك فى لذة، والمعرفة شهود فى خيرة وفناء فى محنة. انتهى. واعلم ان اليقين هو نهاية المعرفة، ومراتبه ثلاثة: علم اليقين، وهو ما ينشأ عن النظر والاستدلال. وعين اليقين، وهو ما يكون من طريق الكشف والنوال. وحق اليقين، وهو مشاهدة الغيب مشاهدة العيان كما يشاهد الرائي. فالاول للأولياء والثانى لخواصهم والثالث للأنبياء. وحقيقته اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. (تنبيه ثان) علم مما تقدم ان بعض الأولياء قد يعلمه الله تعالى ببعض المغيبات، لأنه جازر عقلا وواقع نقلا، اذ هو من جملة الكرامات الخارجة عن الحصر على ممر الأعصار. فبعضهم يعلمه بخطاب، وبعضهم يعلمه بكشف حجاب، وبعضهم يكشف له عن اللوح المحفوظ حتى يراه. ويكفى بذلك ما أخبر به القرآن عن الخضر بناء على انه ولي وان كان الاصح انه نبي صلى الله عليه وسلم. وما تقدم عن ابي بكر الصديق رضى الله عنه من اخباره عن حمل امرأته بانه جارية وكان كذلك، وعن عمر رضى الله عنه فى قصة سارية بن زنيم وفى كتب القوم الصوفية ما لا يحصى من القضايا التى أخبر فيها اخبار الأولياء بالمغيبات، كقول بعضهم: انا غدا اموت وقت الظهر، وكان كذلك، ولما دفن فتح عينيه، فقال له: راحته أحياء بعد موت، فقال: انا حى، وكل محب لله فهو حى. وروى وكقول سائل لمن حضر للانكار عليه: ﴿واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه﴾، فتاب بباطنه، فقال: ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده﴾. وروى السهروردى عن الخولانى انه قال لرجل: عندك ودیعة لفلان، فتوقف لامتناعه شرعا، ثم لما لم يجد من ذلك بدا دفع للشيخ ما طلبه، فقدم كتاب من المودع لوديعه: اعطى الشيخ كذا بقدر ما اخذه الشيخ. ووقع للشيخ ابي الغيث بن جميل ان قاطع طريق جاءه بحب وآخر بثور فأمر بطبخ ذلك وأكله، فامتنع الفقهاء من اكل ذلك، فبعد ان اكل الفقراء ذلك جاءه شخص قال: نذرت لفقرائك بحب، وجاء آخر وقال: كنت نذرت لهم بثور، فاخذ القطاع الحب والثور وكان الشيخ يأمر بابقاء رأس الثور فأخرجه لصاحبه فعرفه، فندم الفقهاء على مخالفة الشيخ. وامثال ذلك من الاولياء لا تحصى ويكفى دليلا قوله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الصحيح، ان فى امتى ملهمون او محدثون ومنهم عمر، وقوله صلى الله عليه وسلم: اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله، ووقف نصراني على الجنيد رحمه الله تعالى، وهو يتكلم فى الجامع على الناس، فقال: ايها الشيخ ما معنى حديث

اتقوا فراسة المؤمن، فاطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال: اسلم فقد جاء وقت اسلامك، فاسلم الغلام. وسئل بعضهم عن الفراسة فقال: أرواح تتقلب في الملكوت فتشرف على معاني الغيوب فتنتطق عن اسرار الخلق نطق مشاهدة وعيان لا نطق ظن وحسبان. ولا ينافي ماتقرر من اطلاع الاولياء على بعض الغيوب قوله عز وجل: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله﴾، وقوله عز وجل ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول﴾، بناء على أن الاستثناء في الآية الثانية منقطع، وهو ما ذهب اليه المعتزلة، واستدلوا به على نفى كرامات الأولياء، جهلا منهم ان لا يدل عليها او على خصوص علمهم بجزئيات من الغيب الا هذه الآية، ان جعلنا الاستثناء منها منقطعا ووجه عدم المنافاة أن علم الأنبياء والأولياء انما هو باعلام من الله تعالى لهم، وعلمنا بذلك انما هو باعلامهم لنا. وهذا غير علم الله تعالى الذي تفرد به وهو صفة من صفاته القديمة الازلية الدائمة الابدية المنزهة عن التغير وسمات الحدث والنقص والمشاركة والانقسام، بل هو علم واحد علم به جميع المعلومات كلياتها وجزئياتها ماكان منها وما يكون، اويجوز ان يكون ليس بضرورى ولاكسبى ولا حادث، بخلاف علم سائر الخلق. اذا تقرر ذلك فعلم الله المذكور هو الذى تمدح به، واخبر فى الآيتين المذكورتين بان لا يشاركه فيه احد، فلا يعلم الغيب الا هو، وما سواه ان علموا جزئيات منه فهو باعلامه واطلاعه لهم، وحينئذ لا يطلق انهم يعلمون الغيب، اذ لا صفة لهم يقتدرون بها على الاستقلال بعلمه. وايضا هم ما علموا وانما علموا وايضا هم ما علموا غيبا مطلقا. لان من اعلم بشيئ منه يشاركه الملائكة ونظراؤه ممن اطلع. ثم اعلام الله تعالى للأنبياء والأولياء ببعض الغيوب ممكن لا يستلزم محالا بوجه، فانكار وقوعه عناد. ومن البهالة أنه لا يؤدى إلى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذى به واتصف به فى الأزل وما لايزال. وما ذكرناه فى الآية صرح به الامام النووى رحمه الله فى فتاويه فقال: معناها لا يعلم ذلك استقلالا وعلم احاطة بكل المعلومات الا الله. واما المعجزات والكرامات فباعلام الله لهم علمت، وكذا ما علم باجراء العادة. انتهى.

مسئلة

فى تحقيق الفرق بين الخطاب الذى يذكره الأولياء كقول بعضهم حدثنى قلبى عن ربي او خاطبنى ربي بكذا، وما سمعه الأنبياء من الوحي وما يتبع ذلك، قال المحقق ابن حجر رضى الله عنه: فرق القطب الربانى الشيخ عبد القادر الجيلانى - نفع الله به - بين النبوة والولاية بما

حاصله ان النبوة كلام الله الواصل للنبي صلى الله عليه وسلم مع الملك والروح الأمين والولاية حديث يلقي في قلب الولي على سبيل الالهام المصحوب بسكينة توجب الطمأنينة والقبول له من غير توقف ولا تلعث، ورد الاول كفر والثاني نقص. وجاء الفقيه لابي يزيد معترضا عليه فقال: علمك ممن وعمن ومن اين، فقال: علمي من عطاء الله وعن الله عز وجل ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم، وقال: العلم علمان، علم ظاهر وعلم باطن، فالعلم الظاهر حجة الله على خلقه، والعلم الباطن هو العلم النافع. فعلمك يا فقيه نقل من لسان الى لسان لتعلم لا للعمل، وعلمي من علم الله عز وجل الهاما الهمني الله من عنده، فقال له الفقيه: علمي عن الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى، فقال: للنبي صلى الله عليه وسلم علم عن الله عز وجل لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل عليهما الصلاة والسلام، فطلب منه الفقيه ان يوضح له علمه الذي ذكره، فقال: يا فقيه، اعلمت ان الله عز وجل كلم موسى تكليما وكلم محمدا صلى الله عليه وسلم ورآه كفاحا (١) وكلم الانبياء وحيا، قال: بلى، قال: اما علمت ان كلامه للصديقين والأولياء بالهام منه لهم والقي فوائده في قلوبهم وتأيدده لهم ثم انطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة. ومما يؤيد ماقلته ما الهم الله عز وجل ام موسى ان تقذفه في التابوت ثم تلقيه في اليم، وكما الهم الخضر في امر السفينة وامر الغلام والحائط وقوله لموسى وما فعلته عن امرى اى انما هو علم الله عز وجل، وقال تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ اى بناء على ما عليه الصوفية قاطبة انه ولي لا نبي، وكما الهم يوسف صلى الله عليه وسلم في السجن فقال: ﴿ذلكما مما علمنى ربى﴾، اى وكان ذلك قبل النبوة، وكما قال ابو بكر لعائشة رضى الله عنها ان بنت خارجه حامل بينت ولم يكن استبان حملها فولدت جارية، ومثل هذا كثير. واهل الالهام قوم اختصهم الله بالفوائد فضلا منه عليهم، وقد فضل الله بعضهم على بعض فى الالهام والفراسة. فقال الفقيه: قد اعطيتنى اصلا وشفيت صدرى. ومما يؤيد ما رواه الصوفية من ان الالهام حجة - اى فيما لا مخالفة فيه لحكم شرعى - ما صح من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى: فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، الحديث. وفى رواية: فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق، وفى اخرى: وكنت له سمعا وبصرا وبدا ومؤيدا. والحاصل ان العلماء بالله عز وجل هم الواقفون مع

١. قوله كفاحا اى كشفا ومعاينة يقال كفحه كمنعه اى كشف عن غطاء

الله تعالى فى العلوم والاعمال، والمقامات والاحوال، والايقوال والافعال، وسائر الحركات والسكنات والارادات والخطرات ومعادن الاسرار ومطالع الأنوار، والعارفون المحبون المحبوبون المقربون رضى الله عنهم ونفع بهم. وتقرر ذلك علم الفرق بين خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وخطاب الولي فالاول بواسطة الملك اوبغير واسطة اوبالرؤيا الصالحة او بالنفث فى الروح وكل ذلك يسمى وحيا وكلاما ينسب الى الله تعالى حقيقة، ومن انكرما علم من الدين ضرورة كفر، والثانى شئى يلقى فى القلب يثلج له الصدر، وهو المسمى حديثا والهاما، لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث: ان فى امتى محدثون - بفتح الدال - ملهمون ومنهم عمر. واختلف العلماء فى حجية الالهام بقيده السابق، فالارجح عند الفقهاء انه ليس بحجة، اذ لا ثقة بخواطر غير المعصوم. وعند الصوفية انه حجة ممن حفظه الله تعالى فى سائر اعماله الظاهرة والباطنة، والأولياء وان لم يكن لهم العصمة لجواز وقوع الذنب ولا ينافيه الولاية. ومن ثمة قيل للجنيـد: ايزنى الولي، فقال: ﴿وكان امر الله قدرا مقدورا﴾، لكن لهم الحفظ فلا تقع منهم كبيرة ولا صغيرة غالبا. قلت فى الرسالة القشيرية مانصه فان قيل: فهل يكون الولي معصوما قيل: اما وجوبا كما يقال فى الانبياء فلا، واما ان يكون محفوظا حتى لا يصـر على الذنوب، ان حصلت هنات اوآفات او زلات فلا يمتنع ذلك فى وصفهم، ثم ذكر ما مر عن الجنيـد. انتهى. وعلى القول بحجيته اى الالهام فهو بنسب الى الله تعالى، بمعنى انه الملقى له فى القلب كرامة لذلك الولي وانعاما عليه بما يكون سببا لمزيد له او صلاح لغيره. والله اعلم.

مسئلة

فى الأجوبة عما وقع من شطحات الأولياء التى ظاهرها انتقاد وباطنها حق، كقول ابى يزيد البسطامى: سبحانى ما فى الجبة الا الله، وقول الحلاج: انا الحق، وغير ذلك. اعلم ان ما وقع للأولياء رضى الله عنهم من الشطحات اى الكلمات والافعال التى عليها رائحة رعونة ودعوى للأئمة العلماء العارفين الحكماء الذين حماهم الله بالسلامة من حرمان **الاذكار**، ومن عليهم بالاعتقاد فى اوليائه، وحمل ما صدر عنهم على احسن المحامل واقومها عنها، اجوبة مسكتة وتحقيقات مبهتة، لا يهتدى اليها الا الموفقون، ولا يعرض عنها الا المخذولون. احدها، ان تلك الكلمات حكاية عن حضرة الحق ونطق عما يليق وما شاهدوه من انوارها وغلبة التجوز فى نحو ذلك من مقامات المحبة والعبودية والقرب، ييسط لهم العذر ويرفع عنهم الاصر. وممن اعتمد هذا السلك الامام

قال فى عوارفه: وما حكى عن ابى يزيد رضى الله عنه من قوله سبحانى، حاشا الله ان يعتقد فى ابى يزيد ان يقول مثل ذلك الا على معنى الحكاية عن الله تعالى. قال: وذلك مما ينبغى ان يعتقد فى الحلاج وحمد الله من قوله انا الحق. ثانيها، ان ذلك وقع منهم فى حال الغيبة والسكر الناشئين عن الفناء فى المحبة والشهود لموارد الاحوال المزعجة للقلب الآخذة له من صحوه وتمييزه. الا ترى ان بعض الهموم والواردات الدنيوية اذا وردت على القلب اذهلته واذهبت تمييزه لشدة تمكنها منه واستغراقه فى فكره وخطرها، فانه اذا كان هذا فى الامور السافلة التى لا تقاوم جناح بعوضة، فكيف بواردات الحق على القلوب، ولوامح المحبة المذهلة عن كل مطلوب ومرغوب، وعوالم الملكوت المنكشفة لهم فى منازلهم، ومشاهدة عجائب القدرة فى ترقياتهم. فان ذلك لا يبقى فى القلب شعورا ولا تمييزا بل يصير صاحبه كالسكران الثمل، فحينئذ ينطق بما رسخ فى خلدته قبل، ويرجع بطبعه قهرا عليه، الى مكان يلحظه ويعول عليه فينطق لسانه بطبق تلك الاحوال، لكن عبارات لا يقصد بها ما يوهمه ظاهرها من اتحاد او حلول وانحلال. فتأمل ذلك وعول عليه تسلم. وكل سكر نشأ عن سبب جائز فصاحبه غير مكلف. وممن اعتمد هذا المسلك القطب الربانى سيدى عبد القادر الجيلانى نفع الله به. قال المحقق ابن حجر بعد سوق عبارته فى شأن الحلاج: ويكفى الحلاج شرفا مشاهدة هذا القطب له بهذا المقام مع ان الصوفية وغيرهم مختلفون فيه اختلافا كثيرا، فجماعة من العارفين كأبى العباس ابن عطاء وابى عبد الله ابن حنيف والقاسم النصرابادى رضى الله عنهم اثنوا عليه وصححو حاله وجعلوه احد المحققين، وخالفهم اكثر المشايخ فلم يشبوا له قدما فى التصوف ولم يقبلوه ولم يأخذوا عنه. وهذا لا ينافى ما قاله الأولون، لانه وان كان محقا بل عالما ربانيا - كما قاله ابن حنيف - الا انه كان مخلطا تكثر منه الكلمات التى ظواهرها منتقدة. فلذا اعرضوا عن الأخذ عنه ولم يشبوا له قدما فى التصوف - اى فى التربية والاقتداء - وجعلوه فى حيز المجاذيب الذين يعتقدون ولا يؤخذ عنهم، ولا يعدون من اصحاب المراتب والتصرف. فتأمل ذلك فانه مهم، واياك ان تفهم من الصوفية من ينكر عليه حاله الباطن فان الامر ليس كذلك وقد بسط الغزالى رحمه الله احواله فاجاب عن كلماته ووقائعه بما ينزه ساحته عن حلول او غيره. ثالثها ان الشطح قد يكون فيه نفع للخلق، وقد عرفوا ذلك بالهام او كشف او خطاب او نحوها من **وجود** التعريفات، كما تواتر باليمن فى الشيخ العارف الامام اسماعيل الحضرمى - نفع الله به - انه قال: من قبل قدمى دخل الجنة، فلم يزل يقبل قدمه كل زائر وان جلت مراتبه. ومن

كراماته انه كان داخلا لزبيد وقد دنت الشمس للغروب فقال لها: لا تغربى حتى ندخلها فوقفت ساعة طويلة فلما اشار اليها فاذا الدنيا مظلمة والنجوم ظهورا تاما. قلت من قبيل كلام الشيخ اسماعيل الحضرمي: من قبل قدمي دخل الجنة، مذكروه بعض العلماء ان الامام الشاطبي قال فى شأن قصيدته حرز الاماني: من حفظ هذه القصيدة دخل الجنة. فبلغ بعض المقرئين هذا الكلام فاراد ان يسأله عن ذلك، فجاء اليه وكاشف الشيخ قبل ان يسأله، فقال: نعم، من حفظها دخل الجنة بل من مات وهى فى بيته دخل الجنة، وروى انه لما فرغ من نظمها رآى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام، فقام فقدم القصيدة بين يديه وقال: يا رسول الله، انظرها. فتناولها النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة وقال: هى مباركة، من حفظها دخل الجنة. رابعها، ظهور المراد من اللفظ وان اشكل ظاهره، كما وقع للشيخ ابي الغيث ابن جميل - نفع الله به - انه جاء اليه جماعة من الفقهاء فقال: مرحبا بعبیدی، فاشتد انكارهم عليه وذكروا ذلك للشيخ اسماعيل المذكور قبله، فقال: صدق، انتم عبيد الهوى وهو عبده. خامسها الاشارة الى الخلافة عن الحق بالاذن له فى التصرف فى الكون، كما قال الشيخ ابو الغيث - نفع الله تعالى به - :

وحباني الملك المهيمن خلعة * فالارض ارضى و السماء سمانى

وفى رواية وحلانى الملك المهيمن باسمه اى سره اوصفته اوبركته اوبالنباة عنه فى التصرف فيما اذن لى فيه اوان اسمى الذى هو ابو الغيث مشتق من اسمه تعالى المغيث. سادسها قصد التخريب وهو ما يقع للملامتية، وهم قوم طابت نفوسهم مع الله فلم يريدوا ان احدا يطلع على اعمالهم غيره، فاذا رآى احد منهم ان احدا اعتقد فيه خرب اى ارتكب ما يذم به ظاهره من فعل او قول، كسرقة بعض الأولياء، وهو ابراهيم الخواص - نفع الله به وناهيك به علما ومعرفة - لما رآى اهل بلده يعتقدونه سرق ثيابا من الحمام لابن المالك، وخرج يتبختر بها حتى ادرك، فضرب واخذت منه وسمى لص الحمام، فقال: الان طابت الإقامة فى هذه البلدة. فان قلت: ما تأويله فى لبس ثياب الغير، قلت: يحتمل انه علم عتبه ورضاه بل ارضاه وان لم يعلم قلبه، نظرا الى الغالب، لان من اطلع على باطن عبد انه فى غاية الصلاح، وان لبسه هذا الزمن اليسير ليظهر نفسه من النظر الى الخلق رضى له بذلك قطعاً. وقد صرح الشافعى رضى الله عنه بانه يجوز اخذ خلال وخلائين من مال الغير نظرا الى ان ذلك مما يتسامح به **غالباً**. ومسلتنا اولى من ذلك، لان اكثر الناس مجبولون على محبة هذه الطائفة بل كلهم منقادون الى الصادقين

اجاب بجواب اخر حين سأله فقيه عنها: لا اقنع الا بكلام الفقهاء، فقال: اليس يجوز فى ظاهر الفقه استعمال لبعض المحرمات للضرورة كالتداوى بالنجاسة، فقال الفقيه: بلى، فقال: فكذا هذا، داوى نفسه بل قلبه بهذا المحرم. وما اجبت به اولى، لان التداوى بالنجاسة ليس فيه الا حق الله تعالى، فسومح به لاجل المرض. واما هذا فحق الادمى، لايجوز الا برضاه، فكيف يجوز لاجل مصالح قلبه، فالصواب ما اجبت به، اذ لا يرد عليه ما اورده اليافعى رحمه الله على ذلك الجواب، فقال بعد قوله: لا يداوى التخريب بحرام مغلظ كالكبائر ونحوها. وفى جواز ارتكاب الحرام للتخريب بمجرد الظن حصول الفساد والضرر الراجحين على فساد الحرام. وضرره عندى فيه نظر، ويترتب على هذا سؤال، فيقال: اذا تعارض مفسدتان صغرى قطعية وكبرى ظنية فايتهما اولى بالدفع، واذا حصل الغرض من التخريب بمكروه فلا يجوز بحرام. انتهى كلام اليافعى رضى الله عنه. وتوقفه فى تعارض المفسدتين المذكورتين فيه نظر وقضية قولهم درء المفساد مقدم على جلب المصالح تقديم دفع المفسدة القطعية صغرت او كبرت، كما يعلم من كلام الأئمة فى المضطر يأخذ طعام الغير المستغنى عنه قهرا عليه ويقتله ان امتنع من اعطائه، وتعين القتل طريقا لتحصيله، ومع ذلك لا يأخذه مجانا، بل يبدله حالا ان قدر عليه، والا فحتى يقدر. سابعها، ان الأولياء قد يؤمرون بذلك تعريفا لجاهل اوشكرا او تحدثا بنعمة الله تعالى، كما قال سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه وامدنا بمدده :

انا قطب اقطاب الوجود حقيقة * على سائر الاقطاب قولى و حرمتى

توسل بنا فى كل هول و شدة * اغيثك فى الاشياء طرا بهمتى

وكما وقع له رضى الله عنه انه بينما هو بمجلس وعظه اذا هو يقول: قدمى هذه على رقة كل ولى لله تعالى، فاجابه فى تلك الساعة: اولياء الدنيا، قال جماعة: بل واولياء الجن جميعهم، وطأطأوا رؤسهم وخضعوا له واعترفوا بما قاله الا رجلا واحدا باصبهان، ابى فسلب حاله. وممن طأطأ رأسه ابو النجيب السهروردى وقال: على رأسى، على رأسى واحمد الرفاعى فقال: وحميد منهم وسئل فقال ان الشيخ عبد القادر يقول كذا وكذا، وابو مدين فى المغرب: وانا منهم، اللهم انى اشهدك واشهد ملائكتك انى سمعت واطعت. فسئل فاخبر بما قاله الشيخ ببغداد فأرخ، فكان قول ابى مدين عقب قول الشيخ عبد القادر ذلك. وكذلك الشيخ عبد الرحيم القنادى مد عنقه وقال: صدق الصادق المصدوق. فسئل فاخبر بما قاله الشيخ. وذكر كثيرون من العارفين الذين

بقطيبيته، فلم يسع احدا التخلف، بل جاء باسانيد متعددة عن كثيرين انهم اخبروا قبل مولده بنحو مائة سنة، انه سيولد بارض العجم مولود له مظهر عظيم يقول ذلك، فتندرج الأولياء في وقته تحت قدمه. وحكى امام الشافعية في زمنه ابو سعيد عبد الله بن ابي عصرون قال: دخلت بغداد في طلب العلم فوافقت ابن السقاء ورافقته في طلب العلم بالنظامية وكنا نزور الصالحين وكان ببغداد رجل يقال له الغوث يظهر اذا شاء ويختفى اذا شاء فقصدنا زيارته انا وابن السقاء والشيخ عبد القادر - وهو يومئذ شاب - فقال ابن السقاء - و نحن سائرون -: لأسألنه مسألة لا يدري لها جوابا، وقلت: لأسألنه مسألة وانظر ما يقول فيها، وقال الشيخ عبد القادر: معاذ الله ان اسأله شيئا، انا بين يديه انتظر بركة رؤيته. فدخلنا عليه فلم نره الا بعد ساعة، فنظر الشيخ الى ابن السقاء مغضبا وقال: ويحك يا ابن السقاء، تسألني مسألة لا ادري لها جوابا هي كذا وجوابها كذا، انى لأرى نار الكفر تلتهب فيك، ثم نظر الى وقال: يا عبد الله، أتسألني عن مسألة لتنظر ما اقول فيها، هي كذا و جوابها كذا، لتخزن الدنيا عليك الى شحمة اذنك باساءة ادبك. ثم نظر الى الشيخ عبد القادر وادناه منه واكرمه وقال: يا عبد القادر، لقد ارضيت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بحسن ادبك، كانى اراك ببغداد وقد صعدت الكرسي متكلما على الملاء، وقلت: قدمى هذه على رقبة كل ولى لله، وكأنى أرى الأولياء فى وقتك وقد حنوا رقابهم اجلالا لك. ثم غاب عنا فلم نره. قال - اى ابن ابي عصرون -: اما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت امارات قربه من الله عز وجل، واجمع عليه الخاص والعام، وقال: قدمى الخ. واقرت الأولياء فى وقته له بذلك. و اما ابن السقاء فانه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها وفاق فيها كثيرا من اهل زمانه واشتهر بقطع من ينظره فى جميع العلوم، وكان ذا لسان فصيح وسمت بهى، فادناه الخليفة وبعثه رسولا الى ملك الروم، فرآه ذا فنون وفصاحة **وسمت**، فاعجب به وجمع له القسيسين والعلماء بالنصرانية فناظرهم وافحمهم وعجزوا، فعظم عند الملك، فزادت فتنته، فترأت له بنت الملك فاعجبته وفتن بها فسأله ان يزوجه **له**، فقال: الا ان تتنصر، فتتنصر وتزوجها، ثم مرض فالقوه فى السوق يسأل القوت فلا يجاب، وعلته كآبة وسواد وحتى مر عليه من يعرفه، فقال له: ما هذا، قال: فتنة سببها ما ترى، قال له: هل تحفظ شيئا من القرآن، قال: لا، الا قوله: ﴿ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين﴾، قال: ثم خرجت عليه يوما فرايته كانه حرق وهو فى النزع، فقبلته الى القبلة فاستدار الى الشرق، فعدت فعاد، وهكذا الى ان خرجت **روحه**، وكان يذكر كلام الغوث ويعلم انه اصيب بسببه. قال ابن ابي عصرون:

واما انا فجننت الى دمشق، فاحضرني السلطان الصالح نور الدين الشهيد، واکرهني على ولاية **الاقواق**، فوليتها واقبلت على الدنيا اقبالا كثيرا، فقد صدق قول الغوث فينا كلنا. قال المحقق ابن حجر: وفي هذه الحكاية التي كادت ان تتواتر في المعنى لكثرة ناقلها وعدالتهم فيها اتم حث على اعتقاد الاولياء والادب معهم وحسن الظن بهم ما امکن. وفيها ايضا ابلغ زجر واکد ردع عن الانکار عليهم خوفا من ان يقع المنکر فيما وقع فيه ابن السقاء من تلك الفتنة المهلکه الابدیة التي لا اقبح منها ولا اعظم منها. نعوذ بالله من ذلك ونسأله بوجهه الکریم وحبیه الرؤف الرحیم ان يؤمننا من ذلك ومن کل فتنة ومحنة بمنه وکرمه. آمین. قال: فاحذر ان تكون ممن يتحسی کأس سم الانکار فیهلك لوقته وبادر الى السلامة من غضب الله ومحاربتة ومقتته، فقد قال على لسان الصادق المصدق، من عادى لی ولیا فقد آذنته بالحرب ای اعلمته بانى محارب له. قال الأئمة ولم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة الا للمنکرين على اولیاءه و آکلين الربا ومن حاربه الله لا یفلح ابدا. قلت: قال شیخ الاسلام: اذا لم یکن للفقیه علم باحوال القوم واصتلاحاتهم فهو فقیه خان. وقال ايضا: الاعتقاد صیغة والانتقاد حرمان. وقال الشعرانی: ومن اشد حجاب عن معرفة اولیاء الله عز وجل شهود المماثلة والمشاکلة. وهو حجاب عظیم، وقد حجب الله به اکثر الاولین والآخرین كما قال تعالى حاکیا عن قوم ﴿وقالوا مال هذا الرسول یأکل الطعام ویمشی فی الاسواق﴾، وقالوا ﴿ما هذا الا بشر مثلکم یأکل مما تأکلون منه ویشرب مما تشربون﴾، ﴿فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه﴾، یعنی لم نر احدا یوافقه على ما یدعیه ویأمرنا به ونحو ذلك. ولكن اذا اراد الله عز وجل ان یعرف عبدا من عبیده بولي من اولیائه لیأخذ عنه الادب ویقتدی به فی الاخلاق، طوی عنه شهود بشریته، واشهده وجه الخصوصية فیهِ، فیهعتقده بلا شک ویحبه اشد المحبة. واکثر الناس الذی یصبحون الاولیاء لا یشهدون منهم الا وجه البشریة. فلذلك قل نفعهم وعاشوا عمرهم کله معهم ولم ینتفعوا منهم بشیء، وقد اقتضت الحکمة الالهیة عدم اتفاق الخلق کلهم على الاعتقاد فی واحد منهم وفی الاذعان له. وفی ذلك سر خفی، لانه لو کان الخلق کلهم مصدقین لذلك الولی لفاته اجر الصبر على تکذیب المکذبین له. ولو کانوا کلهم مکذبین له لفاته الشکر على تصدیق المصدقین له والمقتنین لآثاره. فاراد الحق تعالى بحسن اختیاره لأولیائه ان یجعل الناس فیهم قسمین: معتقد مصدق ومنتقد مکذب. لیعبدوا الله عز وجل فیمن صدقهم بالشکر وفیمن کذبهم بالصبر. اذ الایمان نصفان:

شكر. قال وانما نهى القوم عن المنازعة، لان علومهم مواجيد لا نقل فيها. ومن كان يخبر عما يعاين ويشاهد لا يجوز للسامع منازعته فيما اتى به، بل يجب التصديق ان كان مريداً، والتسليم له ان كان أجنبياً. فان علوم القوم لا تقبل المنازعة لانها وراثية نبوية. وفي الحديث: عند نبي لا ينبغي التنازع، ونهى صلى الله عليه وسلم عن الجدال، وقال فى المجادل: فليتبوأ مقعده من النار. وقال الشيخ محي الدين رضى الله عنه: اصل منازعة الناس فى المعارف الالهية والاشارات الربانية كونها خارجة عن طور العقول، ومجيئها بغة من غير نقل ولا نظر، ومن غير طريق العقل، فتتكرت على الناس من حيث طريقها، فأنكروها وجهلوها. ومن انكر طريقاً من الطرق عادى اهلها ضرورة، لاعتقاده فسادها وفساد عقائد اهلها، وغاب عنه ان الانكار من الوجود. والعاقل يجب عليه ان يغير منكراً انكره ليخرج عن طور الجحود. فان الاولياء والعلماء العاملين قد جلسوا مع الله عز وجل على حقيقة التصديق والصدق والتسليم والاخلاص والوفاء بالعهود وعلى مراقبة الانفاس مع الله عز وجل، حتى سلموا قيادهم اليه، والقوا نفوسهم سلماً بين يديه، وتركوا الانتصار لنفوسهم فى وقت من الأوقات حياء من ربوبية ربهم عز وجل، واكتفاء بقيوميته عليهم. فقام لهم بمايقومون لأنفسهم بل اعظم. وكان تعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم والغالب لمن غالبهم. والله اعلم.

مسئلة ايما افضل علماء الباطن ام علماء الظاهر

اجاب المحقق ابن حجر رضى الله عنه بقوله: ان اردت بعلماء الباطن ما هو المتبادر عند اهلنا، وهم العارفون بالله تعالى الذين وفقهم الله عز وجل لا فضل الاعمال، وحفظهم من سائر المخالفات فى كل الاحوال، ثم كشف لهم الغطاء، يعبدوه كأنهم يرونه، واشتغلوا بمحبته عما سواه، واطلعهم على عجائب ملكه وغرائب حكمه، وقربهم من حضرة قدسه، واجلسهم على بساط أنسه، ومألاً قلوبهم بصفات جماله وجلاله، وجعلهم مطالع انواره، ومعادن اسراره، وخزائن معارفه، وكنوز لطائفه، واحياهم الدين، ونفع بهم المريدين، واغاث بهم العباد، واصلح بهم البلاد. وبعلماء الظاهر الذين عرفوا رسوم العلوم الكسبية، وعريصات الوقائع الفعلية والقولية، وغرائب البراهين العقلية والنقلية، حتى حفظوا سياج الشرع من ان يلم به طارق او يخرقه مبتدع مارق. فالأولون افضل، وان كان للآخرين فضل عظيم، بل ربما كانوا افضل من حيثية لامطلقاً، ومع ذلك فافضلية الأولين على حالها، او قد يكون فى المفضول مزية، بل مزايا، هذا ان وجدت فى هؤلاء

صفة العدالة، والا فلأمفضلة، اذلا مشاركة بينهم وبين الأولين فى شىء من صفات الكمال، لان رسوم العلوم الحالية عن الاعمال الصالحة فى الحقيقة مقت اى مقت، وغضب اى غضب، ومن ثمة جاء فى الاخبار الصحيحة من عقاب العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، ما يدهش اللب ويحير الفكر. هذا هو الحق فى هذه المسئلة، خلافا لمن اطلق الكلام فى تفضيل احد الشقين، ولم ينح هذا التفضيل الذى ابديته، ولا يرد على ذلك ما وقع لموسى مع الخضر صلى الله على نبينا وعليه وسلم، بناء على ما عليه الجمهور من الصوفية، أن الخضر ولى، لان موسى افضل منه اجماعا، لانه امتاز على الخضر بخصوصية، وانما غاية ما يتميز به الخضر انه اطلع على جزئيات من عالم الغيب لم يطلع عليه موسى، عليه السلام فتلمذ له لاجلها، وتأديبا من الله عز وجل له، اذ سئل من اعلم الناس، فقال: انا، ولم يرد العلم الى الله عز وجل، فليست قضيتهما مما نحن فيه بوجه، خلافا لليافعى رحمه الله، حيث جعلها دليلا لتفضيل الاولين. ومما يدل لأفضلية الأولين ما هو مقرر، ان العلماء انما يشرفون على قدر شرف معلومهم، وشرف العلوم تابع لشرف غاياتها، فعلم المعارف المتعلقة بالله واسمائه وصفاته اشرف العلوم، واصحابها اشرف العلماء، ويليهما فى الشرف علم الفقه، لأن غايته معرفة احكام الله وشرعه الذى تعبد به عباده، وجميع العلوم وسيلة الى هذين العلمين المشتملين على معرفة الله ومعرفة عبادته، لأن الخلق لم يخلقوا الا لذلك: ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾، والعبادة تفتقر الى المعرفة، ومن فسرهما بالمعرفة فهى مستلزمة للعبادة، اذ من عرف الله عرف وجوب عبادته وطاعته. ومما يوضح لك ان العلوم وسيلة لذينك العلمين، انها وسيلة لمعرفة الفقه، الوسيلة لمعرفة العمل الوسيلة للعمل الوسيلة لطاعة الله وقربه، الوسيلة لمعرفته. فمن استعمل هذه الوسائل على وجهها وصل بها الى المقصود الأعظم، والا، فهو الخاسر الجاهل، وان كان بصورة عالم. ومما يدل على افضلية علم المعرفة على الفقه وغيره امور منها: ان العلوم والمعارف الدنية تختص بها الأولياء والصديقون، والعلوم الظاهرة ينالها حتى الفسقة والزنادقة، ومن ثمة قال السهروردى فى عوارفه: وينيبك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء، ان العلوم كلها لايبعد تحصيلها مع محبة الدنيا، والاخلال بحقائق التقوى. وربما كانت محبة الدنيا عوناً على اكتسابها، لان الاشتغال بها شاق على النفوس، فجلبت على محبة الجاه والرفعة، حتى اذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم اجابت الى تحمل الكلف وسهر الليل، والصبر على الغربة والسفار وفقد الملاذ والشهوات. وعلوم هؤلاء القوم، يعنى الصوفية، لا تحصل بمحبة

الابمجانبة الهوى، ولا تدرس الا فى مدرسة التقوى، قال الله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾. ومنها ان شرف العلم على قدر شرف انتفاع صاحبه ونفعه الغير به، والعارفون هم الذين انتفعوا ونفعوا حقا، ويكفى فى انتفاعهم تطهير قلوبهم مما سوى الله، تعالى وامتلاؤها بمحبته ومعرفته. ومن نفعهم للخلق ان بركتهم تغيث العباد، ويدفع بها الفساد، والا، لفسدت الارض، ويقام بهم الدين، ويرشد بهم المريدون الى التطهير من كل خلق دنيس، والترقى الى التحلى بكل وصف علي. ومن ثمة وقع لعارف ان تلميذه اراد الزنا بامرأة، فلما هم سمع صوت شيخه من بلاد بعيدة بقول: هكذا تفعل يافلان، ففر هاربا. ووقع لآخر مع تلميذه فى نظير ذلك، انه ما شعر اذهم الا والشيخ قد لطمه لطمه اذهبت بصره، فخرج وامر من جاء به الى الشيخ، فقال: ادع الله لى ان يرد بصرى، فانى تائب الى الله تعالى، فقال: نعم، ولكن لا تموت الا اعمى. فدعا له، فرد الله عليه بصره، ثم عمى قبل موته بثلاثة ايام. وكذلك وقع للشيخ ابى الغيث ابن جميل اليمنى رحمه الله انه كان له تلميذ بالعجم هم بالزنا بامرأة فضربه الشيخ بقبابه مع زجر وغضب بحضرة الفقراء، فلم يدروا ما الخبر حتى قدم الشيخ العجمى بقبقاب الشيخ بعد شهر تائبا. وكذلك وقع لسيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه، انه رمى بفردتى قبابه اثر وضوئه مع صرختين عظيمتين، فلم تدر الفقراء ما الخبر، حتى قدمت قافلة بعد ثلاثة وعشرين يوما، فاخبروا ان عربا نهبوا اموالهم واقتسموها وهم ينظرون، فنذروا للشيخ بشئ ان نجوا منهم، فسمعوا الصرختين وجاءهم العرب باموالهم، واخبروهم ان فردتى القبقاب جاءتا الى كبيرهم فقلتاها، فأخذوهما وهما مبلولتان وقدموا بهما. قلت: ومن مناقب سيدي احمد البدوى رضى الله عنه بعد موته، ما ذكره الشعراني، قال: اخبرنى الخراجا الحلبي، قال: بينما انا مسافر بحمل قماش الى الولد اى مولد سيدي احمد البدوى، اذا بسبعة فرسان احاطوا بى ليأخذوا ما معى، فقلت: يا سيدي احمد انا فى ذررك. فما تم الكلام حتى خرج عليهم فارس على خصان ابيض لا يرى منه الا عيناه، فطردهم حتى غابوا عنى، فعرفت انه سيدي احمد البدوى رضى الله عنه، انتهى. ومنها ما ورد فى فضل أويس القرنى رضى الله عنه ونفعنا به، وكونه افضل التابعين فى بعض روايات صحيح مسلم، مع ما فى التابعين من العلماء الكبار الذين لا يحصون. ومنها ان العز ابن عبد السلام صرح بتفضيل العارفين بالله تعالى، ومن ثمة لما سمع املاء القطب ابى الحسن الشاذلى، رحمه الله تعالى، على رسالة القشبرى صار يقول: اسمعوا هذا الكلام العجيب الغريب القريب العهد بربه. قلت عبارة الشعراني: ولما اجتمع الأولياء والعلماء فى واقعة

الأفرنج بالمنصورة قريبا من ثغر دمياط، جلس الشيخ عز الدين اى ابن عبد السلام، والشيخ مكين الدين الأسمر، والشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد واضرابهم، وقرئت عليهم رسالة القشيري، وصار كل واحد يتكلم اذ جاء الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضى الله عنه، فقالوا له: نريد ان نسمعنا شيئا من معانى هذا الكلام. فقال: انتم مشايخ الاسلام وكبراء الزمان، وقد تكلمتم، فما بقى لكلام مثلى موضع. فقالوا له: لا، بل تكلم فحمد الله واثنى عليه وشرع يتكلم، فصاح عز الدين من داخل الخيمة وخرج ينادى باعلى صوته: هلموا الى هذا الكلام القريب العهد من الله تعالى فاسمعوه. انتهت. ومنها قول الاستاذ ابي القاسم الجنيد نفع الله به: لو علمت تحت اديم السماء علما اشرف من علمنا هذا لسعيت اليه وقصدته. وقال السهروردي رضى الله عنه الاشارة فى خبر فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم الى هذا العلم الذى هو العلم بالله وقوة اليقين، دون علم نحو البيع والطلاق والعتاق، قال وقد يكون الانسان عالما بالله ذا يقين، وليس عنده علم من فروض الكفاية. وقد كانت الصحابة رضى الله عنهم اعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة، مع ان فى علماء التابعين من هو اقوم بعلم الفقه من بعض الصحابة. قال: والعلماء الزاهدون بعد الأخذ مما لا بد منه اقبلوا على الله وانقطعوا اليه وخلصت ارواحهم الى مقام القرب، فافاضت على قلوبهم انوار الهيات تهيات بها لادراك العلوم الربانية والمعارف الالهية، والله اعلم. قلت: ومنها ان حجة الاسلام الغزالي لما ذكر فى الاحياء معرفة الله تعالى والعلم به، **قالوا**: الرتبة العليا فى ذلك الانبياء، ثم الاولياء العارفين، ثم العلماء الراسخين، ثم الصالحين. فقدم الاولياء وفضلهم على العلماء. وكذا صرح به الأستاذ القشيري فى اول رسالته. قال المحقق ابن حجر نفع الله به: انه صحيح لامرية فيه، اذ لا يشك عاقل ان العارف بما يجب لله تعالى من اوصاف الجلال ونعوت الكمال، وبما يستحيل عليه من الاتصاف بكل صفة لم تبلغ غاية النهاية من الكمال المطلق، افضل من العارف بمجرد الاحكام. قال العز ابن عبد السلام: العارفون بالله افضل من العارفين بالأصول والفروع، لان العلم يشرف بشرف معلومه وثمراته، والعلم بالله عز وجل وبصفاته أفضل من العلم بكل معلوم، اذ معرفة كل صفة من الصفات توجب حالا عليه، وعنها تنشأ ملازمة كل خلق سنى، والتجرد عن كل خلق دنيئ، ومن عرف سعة الرحمة، اثمرت معرفته سعة الرجاء، ومن عرف شدة النقمة اثمرت معرفته شدة الخوف، واثمر خوفه الكف عن كل معصية، مع البكاء والروع، وحسن الانقياد والاذعان. ومن شهد ان جميع النعم منه تعالى احبه، وأثمرت

المحبة آثارها المحمودة المعروفة، وكذلك من شهد تفرد به بالقطع والضرر، لم يعتمد الا عليه، ولم يفوض امره الا اليه، ومن شهد تفرد به بالعظمة والجلال، هابه وعامله بعظيم الانقياد والتذلل وغيرهما، فهذه بعض آثار شهود **الصفة**، ولا شك ان معرفة مجرد الاحكام، لا توجب شيئاً من هذه الأحوال والأعمال والأقوال، والحس يدل على ذلك، اذ كثير من علماء الظاهر على غاية من الفسوق ومجانبة الاستقامة، بل منهم من ادمن النظر في نحو كلام الفلاسفة، حتى خرج من الدين، والعياذ بالله، ومنهم من يشكك فهم في ريبهم يترددون. والفرق بين علماء الكلام والعارفين، ان المتكلم تغيب عنه علومه بالذات والصفات في اكثر الاوقات، فلا تدوم له تلك الأحوال، ولودامت لكان رجلاً من العارفين، لانه يشاركهم في العرفان الموجب للأحوال الموجبة للاستقامة، وكيف يساوى بين العارفين والفقهاء، والعارفون افضل الخلق، واتقاهم الله تعالى، وهو عز وجل يقول: ﴿ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾، ومدحه تعالى في كتابه العزيز للمتقين اكثر من مدحه للعالمين. والعارفون هم المرادون بقوله عز قائلاً: ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾، دون العلماء بمجرد الأحكام، لأن الغالب عليهم عدم الخشية، وخبر الله تعالى صدق فلا يحمل الا على من عرفه وخشيه، وقد روى هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما، وهو ترجمان القرآن. ثم علماء الاحكام منهم من يتعلم ويعلم لغير الله، فهذا علمه وبالله عليه، وكذا من تعلم لله وعلم لغير الله، وعكسه ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ومن تعلم وعلم الله فان لم يعمل بعلمه فهو شقي مثل أولئك، وان عمل به فان كان عالماً بالله وبأحكامه فهو من السعداء، وان كان من اهل الأحوال والعارفين بالله فهو من افضل العارفين، اذ حازماً حازوا، وزاد عليهم بمعرفة الأحكام وتعليم اهل الإسلام. قال: ومن يقول ان العلم المتعدى أفضل من القاصر جاهل باحكام الله تعالى، بل للقاصر احوال. منها: ان يكون أفضل من المتعدى كالتوحيد والإسلام والإيمان، وكذلك الدعائم الخمس الا الزكاة، وكذلك التسبيح بعد الصلوات، فانه صلى الله عليه وسلم قدمه على التصديق بفضول الأموال وهو متعد. وقال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وقال: خير اعمالكم الصلاة، وسئل صلى الله عليه وسلم اى الأعمال افضل، قال: ايمان بالله: قيل ثم ماذا، قال: جهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا قال: حج مبرور. فهذه اعمال قاصرة وردت الشريعة بتفضيلها. ومنها: ان يكون المتعدى افضل، كبر الوالدين، فانه صلى الله عليه وسلم قيل له: اى الاعمال افضل، قال: بر الوالدين. وليست الصلاة افضل من كل عمل متعد، فلو رأى مصل غريقاً فيقدر على انقاذه، او وقوع قتل اوزنا اولواط.

وقدر على ازالته لزمه قطعها لذلك، وان ضاق الوقت، لان رتبته عند الله أفضل من رتبة الصلاة، اذلا يمكن تداركه بخلافها، وهذان القسمان مبنيان على رجحان مصالح الأعمال، فما كانت مصلحته فيها ارجح كان أفضل، وكذا مانص صلى الله عليه وسلم على تفضيله يكون ارجح، وان لم ندرك سبب رجحانه، فان لم نجد مصلحة تقتضى الرجحان ولا نصا به، وجب علينا التوقف حتى نعلم دليلا شرعيا على الأفضل، فنصرح به حينئذ، والا لم يجز لنا ان نقول على الله ما لم يقم لنا عليه دليل، ولو تساوى اثنان مثلا فى الاعمال لم يترجح احدهما الا بتوالى عرفانه واستمراره لانه شرف اى شرف، وبه يزداد صلاح الأعمال واستقامتها. فللعارف رتب فى الفضل والشرف بها تتفاضل الأحوال الناشئة عنها كما مر، فالمحب افضل من المتوكل، وهو من الخائف وهو من الراجي، فهذه نبذة من اوصاف العارفين بالله تعالى. ومما يدل على فضلهم على الفقهاء ما تكرم الله عز وجل به عليهم من الكرامات الخارقة للعادة، ولا يجرى شئ من ذلك على ايدى الفقهاء الا ان سلكوا طريق العارفين، واتصفوا باوصافهم، وماسبقكم ابو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشئى وقر فى صدره رضى الله عنه، ومن زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم انما فضل غيره بالاعمال الشاقة فقد ابعد، بل فضل بتكليم الله اياه تارة على لسان جبريل، وتارة من غير واسطة، وكذلك فضل بالعلوم والمعارف والأحوال التى اختص بها، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: انى لارجو ان أكون اعلمكم بالله واشدكم له خشية، ومن ثمة لما تقلل بعضهم قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قيامه وصلاته على صلاته، انكر صلى الله عليه وسلم عليه ثم ذكر ان تفضيله عليهم انما كانت بمعرفته لله تعالى، فهذه جهات تفضيله صلى الله عليه وسلم ولا مشقة فيها. ولم لا، والله تعالى يقول لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى﴾، ونبينا صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء كلهم عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام، وكثير منهم كنوح صلى الله عليه وسلم وعمل وأودى وصبر اكثر منه صلى الله عليه وسلم، **ثم ان النبوة** من مواهب محض فضله تعالى خص بها انبياءه صلى الله عليه وسلم، تقصر العقول عن ادراك ادنى شئ مما اوتوه من الانوار والمعارف والقرب من الله تعالى. والآيات الباهرة الظاهرة على ايديهم تشهد بذلك، ولهذا لما شم الأولياء من هذه الرائحة طرفا حصل لهم من العرفان بقدر ما شم كل طالب منهم، وظهرت لهم كرامات من ذلك القدر الذى حصل، وزاد الانبياء ايضا انهم قادة الخلق الى الله تعالى ومعلموهم كيفية الوصول اليه، فاتبعهم العامة بحكم العلوم

الظاهرة والخاصة بحكم العلوم الباطنة، وحصل بعض تلك الامور بخلوص الاتباع، ومن رام زيادة واعتقد قوة لم يصل اليها. ولقد خرجت اقوال قوم من اهل الطريق استغرقوا، فوقعوا في الاعتراض عليهم كالحلاج ونظرانه، ولقد اشار الاستاذ القشيري الى انه لا يقتدى بكل اشياخ رسالته، بل بعضهم وبينهم. ومن ذلك ما نقل عن ابي يزيد البسطامي: خضنا بحرا وقف الانبياء على ساحله. ومعنى هذا ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقفوا ساحل بحار الشهوات والارادات ونحوها ينقدون اتباعهم من الغرق في البحار فهو غاية في مدحهم والثناء عليهم، وليس فيه شيء من الاعتراض الا ما يتبادر من ظاهره على ما زعمه المعترض على المتكلمين بمثل هذه الكلمة، حيث زعم انهم يفضلون الأولياء على الانبياء، ومعاذ الله ان يصدر ذلك من احد منهم، لانهم اعرف بالله وباحكامه وبالأنبيا ومراتبهم من غيرهم. واجاب بعضهم عن تلك الكلمة بما يقرب مما قدمته فقال: معناها انهم وقفوا بساحل السلامة ليتبعهم فيه عموم الناس لكونه ظاهرا مبلغا محل السلامة من غير تعمق، وخاض الخواص في غوامضه، وادركوا منه اشياء من المعارف والأحوال لم يدركها أولئك العامة بالساحل. واجاب بعضهم: بان المراد ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام خاضوا بحر المعارف وقطعوه واحاطوا بجميع اسراره ولم يبق عليهم منه شيء، واما الأولياء فانهم خاضوا شيئا قليلا منها بل اكثرهم غرق فيه وتاه، ولم ينج منه الا القليل ممن سبقت له السلامة في علم الله تعالى، والبقية امتحنوا لعدم ضبط ظواهرهم، ومن ثمه زاغ كثير من الصوفية الذين لم يتأدبوا بأداب الشريعة اذ الخير كله في اتباعه صلى الله عليه وسلم والافتداء بهديه، فمن قيد نفسه باحكام الشريعة الظاهرة وعمر باطنه بالخشية ونحوها مما مر، فقد اندرج في سلك القوم السالمين من اللوم الحقنا الله بهم ونظمنا في سلكهم آمين. واما قولهم: ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذته لعلمه، فمعناه كما قال المحقق ابن حجر رضى الله عنه: ان الله عز وجل يفيض على اوليائه الذين اتقنوا الأحكام الظاهرة، والأعمال الخالصة من مواقع الالهام والتوفيق، والأحوال والتحقيق، ما يفوقون به على غيرهم، فمن ثبتت له الولاية التي لا ينشأ كمالها الا عما ذكرنا فثبتت له تلك العلوم والمعارف، فما اتخذ الله وليا جاهلا بذلك، ولو فرض انه اتخذته: اى اهله الى ان يصير من اوليائه لعلمه اى لالههم من المعارف ما يلحق به غيره. فالمراد الجاهل بالعلوم الوهية والأحوال الخفية لا الجاهل بمبادئ العلوم الظاهرة، مما يجب عليه لعمله. فان هذا لا يكون وليا ولا يراد للولاية ما دام على جهله بذلك، بل اذا اراد الله تعالى ولايته الهمة تعلم ما يجب عليه، لانه لا يمكن

الالهام فيه، فاذا تعلمه واتقن عباداته، افاض تعالى عليه من علوم غيبه مالا يدرك بكسب ولا اجتهاد. وبما تقرر، علم ان علم الشرائع لا يدرك الا بالتعلم الحسى، الا ترى الى ما وقع فى قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام لكن معنى قول الخضر عليه السلام لموسى عليه الصلاة والسلام: انك على علم لا اعلمه انا، اى لا اعلم خصوص شرعك او كماله، والا فالخضر كان له شرع آخر، بناء على الاصح انه نبي، ويلزم من كونه نبيا ان له شرعا غير شرع موسى. ومعنى قوله: وانا على علم لا تعلمه انت، اى لا تعلم خصوص ما اوتيته، فلا ينافى ان موسى عليه الصلاة والسلام علم من المعارف والالهامات والاحوال والخصوصيات مالم يخط به الخضر عليه الصلاة والسلام. ومما يؤيد ما قدمته ما حكاه الامام المحقق ابن عرفة المالكي من الاجماع على ان علم الشرائع لا يكون الا بقصد التعليم، واما الذي يعلمه لأوليائه فهو الالهامات والأنوار والمعارف حتى لا يمكن ان تحصل بسبب بل بمحض فضل الله عز وجل ومنته والله اعلم.

مسئلة فى البحث عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فى اليقظة

قال المحقق ابن حجر رضى الله عنه: انكر ذلك جماعة وجوزه آخرون، وهو الحق، فقد اخبر بذلك من لايتهم من الصالحين بل استدل بحديث البخارى: من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة، اى بعينى رأسه وقيل بعين قلبه، واحتمال ارادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة، على انه لا فائدة فى التقييد حينئذ لان امته صلى الله عليه وسلم كلهم يرونه يوم القيامة، من رآه فى المنام ومن لم يره فى المنام. وفى شرح ابن ابى جمرة لمختصره ترجيح بقاء الحديث على عمومه فى حياته ومماته لمن له اهلية الاتباع للسنة ولغيره، قال: ومن يدعى الخصوص من غير تخصيص منه صلى الله عليه وسلم فقد تعسف. ثم الزم منكر ذلك بانه غير مصدق بقول الصادق، وبانه جاهل بقدرة القادر، وبانه منكر لكرامات الأولياء مع ثبوتها بدلائل السنة الواضحة. قال المحقق ابن حجر: ومراده بعموم ذلك وقوع رؤية اليقظة الموعود بها لمن رآه فى النوم ولو مرة واحدة تحقيقا لوعده الشريف الذى لا يخلف، واكثر ما يقع ذلك للعامة قبل الموت عند الاحتضار، فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده، واما غيرهم فيحصل لهم ذلك قبل ذلك بقلة او بكثرة بحسب تأهلهم وتعلقهم واتباعهم للسنة، اذ الاخلال بها مانع كبير. وفى صحيح مسلم عن عمران بن حصين رضى الله عنهما وعنا بهما ان الملائكة كانت تسلم عليه اكراما له لصبره على الم البواسير، فلما كواها انقطع سلام الملائكة عنه، فلما ترك

لكون الكي خلاف السنة منع تسليمهم عليه مع شدة الضرورة اليه، لأنه يقدح في التوكل والتسليم والصبر. وفي رواية البيهقي كانت الملائكة تصافحه، فلما كوى تنحت عنه. وفي كلام حجة الاسلام الغزالي تصريح بانهم، اى الصوفية، وهم فى يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء، ويسمعون منهم اصواتا، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال الى درجات يضيق عنها نطاق الناطق، وقال تلميذه ابو بكر ابن العربي المالكي: ورؤية الانبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة وللكافر عقوبة. وفي المدخل لابن الحاج المالكي ايضا: رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة باب ضيق، وقل من يقع له ذلك الا من كان على صفة عزيز وجودها فى هذا الزمان، بل عذمت غالبا، مع اننا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى فى ظواهرهم وبواطنهم، قال: وقد انكر بعض علماء الظاهر ذلك محتجا بان العين الفانية لا ترى العين الباقية وهو صلى الله عليه وسلم فى دار البقاء والرأى فى دار الفناء، ورد بان المؤمن اذا مات يرى الله تعالى وهو لا يموت، والواحد منهم يموت فى كل يوم سبعين مرة. و اشار البيهقي الى رده بان نبينا صلى الله عليه وسلم رأى جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليلة المعراج، قال البارزى وقد سمع من جماعة من الاولياء فى زمننا وقبله انهم رأوا النبي عليهم الصلاة والسلام يقظة حيا بعد وفاته. ونقل اليافعى وغيره عن الشيخ الكبير اى عبد الله القرشى انه وقع بمصر غلاء كبير، فتوجه للدعاء برفعه، فقليل له لا تدع فلا يسمع لأحد منكم فى هذا الامر دعاء، قال: فسافرت الى الشام، فلما قربت الى قريب ضريح الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام تلقاني فقلت: يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك الدعاء لأهل مصر فدعا لهم ففرج الله عنهم. قال اليافعى: فقلوه تلقاني الخليل، قول حق لا ينكره الا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التى يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض، وينظرون الأنبياء احياء غير اموات، كما نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جماعة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى السماء وسمع خطابهم، وقد تقرر ان ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدى. وحكى ابن الملقن فى طبقات الأولياء ان الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه قال: رايت النبي صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فقال لى: يا بني لم لا تتكلم، قلت: يا ابتاه انا رجل اعجمي كيف اتكلم على فصحاء بغداد، فقال لى: افتح فاك، ففتحته فتفل فيه سبعا وقال: تكلم على الناس، وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضرنى خلق كثير

عليه كرم الله وجهه قائما بازائي فقال: يا بني لم لا تتكلم فقلت يا ابتاه قد ارتج علي، فقال: افتح فاك، ففتحته فثفل فيه ستا، قلت: لم لا تكملها سبعا، قال: ادبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم **تواری عنی**، وقال في ترجمة غيره: كان كثير الرؤية للنبي صلى الله عليه وسلم، يقظة ومناما. وذكر الكمال الأذفری عن ابن دقيق العيد وغيره وعن غيره، وقال التاج ابن عطاء الله عن شيخه الكمال العارف ای العباس المرسى: صافحت بكفى هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحكى ابن فارس عن سيدى علي وفا رضى الله عنه قال: كنت وانا ابن خمس سنين اقرأ القرآن على رجل فأتيته مرة، فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما، وعليه قميص ابيض قطن، ثم رايت القميص علي، **فقال**: اقرأ فقرأت عليه سورة والضحي والم نشرح، ثم غاب عنى. فلما ان بلغت احدى وعشرين سنة احرمت بصلاة الصبح بالقرافة، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبالة وجهي فعانقني فقال: واما بنعمة ربك فحدث، فأوتيت لسانه من ذلك الوقت. والحكايات في ذلك عن اولياء الله تعالى كثيرة جدا، ولا ينكر ذلك الا معاند او محروم. وعلم مما مر عن ابن العربي ان اكثر ما تقع رؤيته صلى الله عليه وسلم بالقلب ثم بالبصر، لكنها به ليست كالرؤية المتعارفة، وانما هي جمعية حالية وحالة برزخية وامر وجدانى، فلا يدرك حقيقته الا من باشره، كذا قيل ويحتمل ان المراد الرؤية المتعارفة بان يرى ذاته طائفة في العالم او تكشف له الحجب له بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبره، فينظره حيا فيه رؤية حقيقة اذ لا استحالة، لكن الغالب ان الرؤية انما هي لمثاله لا لذاته، وعليه يحمل قول الغزالي: ليس المراد انه يرى جسمه وبدنه، بل مثالا له صار ذلك المثل آلة يتأدى به المعنى الذى في نفسه، والآلة اما حقيقية واما خيالية، والنفس غير الخيال المتخيل، فما رآه من الشكل بل هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولا هو شخصه بل هو مثال له على التحقيق، قال: ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام، فان ذاته تعالى منزه عن الشكل والصورة، ولكن تنتهى تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره، ويكون ذلك المثل حقا في كونه واسطة في التعريف، فيقول الرائي: رأيت الله في المنام لا يعنى انى رايت ذات الله كما يقول في حق غيره. قال المحقق ابن حجر: ثم رايت ابن العربي صرح بما ذكرته من انه لا يمتنع لرؤية ذات النبي صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده، لانه وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام احياء ردت اليهم ارواحهم بعد ما قبضوا، واذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوى والسفلى، ولا مانع من ان يراه كثيرون في وقت

واحد لانه كالشمس، واذا كان القطب يملأ الكون كما قاله التاج ابن عطاء الله، فما بالك بالنبى صلى الله عليه وسلم، ولا يلزم من ذلك ان الرأى صحابى، لان شرط الصحة الرؤية فى عالم الملك، وهذه رؤية وهو فى عالم الملكوت وهى لا تفيد صحة، والا لثبت لجميع امته صلى الله عليه وسلم، لانهم عرضوا عليه فى ذلك العالم فرآهم ورأوه كما جاءت به الاحاديث، اما الرؤيا المنامية له صلى الله عليه وسلم فأجل من ان تحصى.

مسئلة فى البحث عن رؤية الله تعالى

اما رؤية الله تعالى عز وجل فى الدنيا يقظة فقال المحقق ابن حجر رضى الله عنه: ان الكلام هنا فى مقامين. الأول: فى امكانها عقلا، والذى عليه اهل السنة انها ممكنة عقلا وشرعا فى الدنيا، واستدلوا لذلك بامور عقلية وامور نقلية، لكن ادلتهم العقلية لاتخلو من دخل وخفاء، فالمعول عليه فى امكانها انما هو الأدلة النقلية. فمنها ان موسى عليه الصلاة والسلام قد سألها بقوله: «رب ارنى انظر اليك»، فلو لم تكن الرؤية ممكنة جائزة الوقوع فى الخارج لكان طلب موسى لها جهلا منه بما يجوز على الله وما لا يجوز، اوسفها اوعبثا او طلبا للمحال، والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعون منزهون عن كل فرد فرد من ذلك اجماعا بل من جوز واحدا من هذه على واحد منهم فهو كافر مراق الدم، وايضا فالله تعالى قد علق الرؤية على استقرار الجبل وهو امر ممكن فى نفسه، فوجب كون المعلق به كذلك اذ المحال لا يعلق بممكن اصلا. الثانى: فى وقوعها، وهذا غير الاول كما هو واضح، فالرؤية وان كانت ممكنة عقلا وشرعا عندنا اهل السنة لكنها لم تقع فى هذه الدار لغير نبينا محمد **صلى الله عليه وسلم**، ليلة المعراج بالعين وكذا له على قول بعض الصحابة رضى الله عنهم لكن جمهور اهل السنة على وقوعها له صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج بالعين. اذا تقرر ذلك علم منه انه لا يجوز لأحد ان يدعى انه رأى الله بعين رأسه، ومن زعم ذلك فهو كافر مراق الدم، كما صرح به من أئمتنا صاحب الانوار ونقله عنه جماعة واقروه. وملخص عبارته: ان من قال انه يرى الله عيانا فى الدنيا ويكلمه شفاها فهو كافر. قال المحقق ابن حجر: والوجه انه لا يشترط في كفر من زعم انه يرى الله عيانا فى الدنيا ويكلمه شفاها اجتماع هذين خلافا لما توهمه عبارة الأنوار، بل يكفر زاعم احدهما. قال: وفى الآيات والاحايث ما يدل لذلك، لكن يتعين حملة على عالم او جاهل مقصر بجهله، وقد ضم الى زعمه الرؤية بعينه، زعمه اعتقاد وجود جسم ولازمه من الحدوث او ما يستلزمه كالصورة واللون ونحوهما، فهذا هو الذى يتجه الحكم بكفره، لأنه حينئذ لم يعتقد

قدم الحق ولاكماله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. واما من اعتقد رؤية عين منزهة عن انضمام ذلك اليها، فلا يظهر الحكم بكفره بمجرد ذلك، لان المنقول المتعمد عندنا عدم كفر نحو المجسمة، الا ان اعتقدوا الحدوث اوما يستلزمه، ولا نظر الى لازم مذهبهم، لأن الاصح في الاصول ان لازم المذهب ليس بمذهب، لجواز ان يعتقد الملزوم دون اللازم، ومن ثمة قلنا: لو صرح باعتقاد لازم الجسمية كان كافرا، واذا تقرر هذا في نحو المجسمة فكذا يقال به في زاعم رؤية العين. فان قلت: الفرق بينهما واضح فان هؤلاء المجسمة قد ورد الكتاب والسنة ما يصرح بقولهم: لولا ما امتن الله به على الأمة من توفيق سلفها وخلفها الى صرف تلك النصوص عن ظواهرها، وانما الخلاف بين السلف والخلف في التأويل التفصيلي، فالسلف يرجحون اولوية الامساك عنه لعدم احتياجهم اليه لصالح زمنهم، والخلف يرجحون اولوية التأويل. واما زاعم الرؤية بالعين فقد ورد من الأدلة القطعية ما يشدد النكير على قائلها واقترن به ما يقوى استنكار ذلك واستعظامه، كقوله تعالى: ﴿واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون﴾، وقوله تعالى ﴿يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾ و قوله سبحانه و تعالى ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا﴾. وثبت في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال: واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا، وحينئذ فينبغي كفر زاعم الرؤية بالعين في الدنيا مطلقا بخلاف المجسمة. قلت: بعد ان قرر الأئمة وعلماء الأمة وحفاظ الملة تلك الايات والاحاديث و صرفوها عن ظواهرها كما تقرر لم يبق لاحد عذر في اعتقاد ظواهرها، فمن فعل ذلك فقليل يكفر مطلقا، وقيل ان قال جسم كالا جسام كفر والا فلا، وعليه جرى الامام النووي رحمه الله في موضع، وقيل لا يكفر مطلقا وهو المشهور من مذهبنا ايها الشافعية مالم يضم لذلك اعتقاد بعض تلك اللوازم كما مر، وحينئذ فينبغي ان يجرى نظير هذا الخلاف كله في مدعى الرؤية بالعين، فيكون الاصح عدم كفره، الا ان ضم لذلك اعتقاد حدوث اوما يؤدي مؤداه، لان ملحظ التكفير وعدمه في المجسمة ونحوهم ليس العذر وعدمه، لان الكلام في العالم وانما الملحظ اعتقاد النقص وملزومه، ولا شك ان هذين يجريان في زاعم الرؤية بالعين في دار الدنيا، فكما جرى ذلك الخلاف كذلك يجرى هنا، اذ لا فارق يعتد هنا به كيف والامام العالم الرباني المترجم بشيخ الكل في الكل ابو القاسم القشيري رحمه الله

تعالى يجزم بانه لا يجوز وقوعها فى الدنيا لاحد غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا على وجه الكرامة وادعى ان الامة اجتمعت على ذلك، فاذا اجمعوا على امتناع وقوعها كان زاعمه لنفسه خارقا للاجماع مدعيا ما قد يترتب عليه نقص، فمن ثمة قالوا بكفره وقيدته بما مر. فان قلت: حكى عن ابى الحسن الاشعري رحمه الله قوله بوقوعها، فكيف الاجماع حينئذ، قلت: ان صح الاجماع فواضح انه لا ينظر اليه وان قائله انما قاله لظنه عدم الاجماع، وان لم يصح كان هذا القول فى غاية الشذوذ ولا ينظر اليه ايضا، ولا يمنع وجود التكفير لزاعم ما قدمته بشرطه. قلت يؤيد حكاية الاجماع فى ذلك ما نقل عن سيدى عبد القادر الجيلانى، انه رفع اليه شخص ادعى انه يرى الله عز وجل بعينى رأسه، فقال الشيخ له: احق ما يقولون عنك، فقال نعم، فانتهره ونهاه من هذا القول واخذ عليه ان لا يعود اليه. قال الراوى فليل للشيخ، امحق هذا ام مبطل، فقال: هذا محق ملبس عليه، فذلك شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق من بصيرته الى بصره لمعة فرآى بصره ببصيرته وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده، فظن ان بصره رآى ما شهد به ببصيرته، وانما رآى بصره ببصيرته فقط وهو لا يدري، قال الله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان﴾. قال: وكان جمع من المشايخ واکابر العلماء حاضرين هذه الواقعة، فاطربهم سماع هذا الكلام ودهشوا من حسن افصاحه عن حال الرجل. واما وقوعها فى المنام فهو الصحيح المختار، كما قاله شيخ الاسلام زكريا، فقد نقل وقوعها لكثير من العلماء العاملين كرامة لهم، روى غير واحد ان الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه انه قال: رايت فى المنام رب العزة جل وعلا، فقلت: يارب ما افضل ما يتقرب به المتقربون، قال: كلامى يا احمد فقلت: يارب بفهم وبغير فهم، فقال: بفهم وبغير فهم. وفى الرسالة القشيرية قال يحيى بن سعيد القطان: رايت ربي عز وجل فى المنام فقلت يارب كم ادعوك فلا تستجيب لى، فقال تعالى: يا يحيى انى احب ان اسمع صوتك. ورآى ابو بكر الآجرى الحق، سبحانه، فى النوم، فقال له: سل حاجتك، فقال: اللهم اغفر لجميع عصاة امة محمد صلى الله عليه وسلم. فقال: انا اولى بهذا منك، سل حاجتك، وعن ابى يزيد اى البسطامى انه قال: رايت ربي عز وجل فى المنام، فقلت: كيف الطريق اليك، فقال: اترك نفسك وتعال، ورآى احمد خضرويه ربه عز وجل فى المنام، فقال: يا احمد كل الناس يطلبون منى الا ابا يزيد فانه يطلبنى. وقال ابو المظفر منصور بن محمد السمعان: كنت حنфия فحججت، فرأيت رب العزة فى المنام، فقال: عد الينا يا ابا المظفر فانتبهت وعلمت انه يريد مذهب الشافعى رضى الله عنه، فرجعت

انتقلت اليه. قال التاج السبكي: وبلغنا انه مرض للاستاذ ابي القاسم اى القشيري ولد مرضا شديدا، بحيث آيس منه، فشق ذلك على الاستاذ، فرآى الحق عز وجل فى المنام فشكى اليه، فقال له الحق تعالى: اجمع ايات الشفاء واقرأها عليه، واكتبها فى اناء واجعل فيه شروبا واسقه اياه، ففعل ذلك فعوفى الولد. والحكايات فى نظير ذلك كثيرة، وذكر بعض المعبرين نقلا عن ابن سيرين ان الانسان اذا رأى فى منامه ربه عز وجل يكلمه، فانه يدخل الجنة وينجو من هم كان فيه، والله اعلم. اما فى الآخرة فيراه تعالى المؤمنون عيانا قبل دخول الجنة وبعده، كما ثبت فى الاخبار الصحيحة، رواها جماعة كثيرة من الصحابة رضى الله عنهم، قال فى الاتحاف ومن بعدهم من الاتباع واتباعهم حتى وصل الينا ذلك، وقبلها العلماء منهم احسن القبول، كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وعلم الحلال والحرام، كذا قبلوا عنهم الاخبار ان المؤمنين يرون الله عز وجل لا يشكون فى ذلك، ثم قالوا من رد هذه الاخبار فقد كفر. ثم نقل عن الامام احمد رضى الله عنه نصا فيه: من قال ان الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس اليس الله عز وجل قال: ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة﴾. فمن تلك الاخبار عن ابي هريرة رضى الله عنه ان الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضارون فى القمر ليلة البدر، قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فانكم ترونه كذلك الخ. وفى بعض طرق هذا الحديث: ان ذلك فى الموقف. ومنها عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآى القمر ليلة البدر، فقال: انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، لاتضارون فى رؤيته، فان استطعتم ان لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾. ومنها عن صهيب رضى الله عنه، انه صلى الله عليه وسلم قال: اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا ازيدكم فيقولون: الم تبيض وجوهنا، الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار، فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله عز وجل، فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم. وفى رواية: فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر اليه ولا اقر لآعينهم، وفى أخرى زيادة، ثم تلا هذه الآية: ﴿للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾، اى فا الحسنى الجنة والزيادة النظر اليه تعالى، كما ورد هذا التفسير عن

جماعة من الصحابة، منهم ابو بكر الصديق، وعلي، وحذيفة، وابن مسعود وابن عباس، وغيرهم رضى الله عنهم، وكذلك عن طائفة من التابعين، كعامر البجلي، وقتادة، وابن ابي ليلي، وغيرهم. ومنها احاديث أخر عن جابر بن عبد الله، وابي سعيد الخدرى، وابي ذر بن العقيلى، وابي موسى الاشعري، وابن عباس، وانس بن مالك، وابن عمر، وعدى بن حاتم، وكعب ابن عجرة بالفاظ متقاربة خرجها الأئمة، بل افردوا بعضهم بالتأليف. وروى الشافعى رضى الله عنه فى مسنده حديثا فى فضل يوم الجمعة، ذكر فيه ان جبريل سمي يوم الجمعة يوم المزيّد، وان النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا جبريل، وما يوم المزيّد، قال: ان ربك عز وجل اتخذ فى الفردوس واديا افيح، فيه كتب المسك، فاذا كان يوم الجمعة انزل الله تبارك وتعالى ما شاء من الملائكة وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب ويقول الله انا ربكم، قد صدقتم وعدى، فسلوني اعطكم. فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم، ولكم علي ما تمنيتم، ولدي مزيّد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير. وروى ابو نعيم بسنده: اذا سكن اهل الجنة الجنة اتاهم ملك، فيقول الله تعالى يأمركم ان تزوروه فيجتمعون، فيأمر الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد، قالوا: وما مائدة الخلد، قال: زاوية من زواياها اوسع مما بين المشرق والمغرب، فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون، فيقولون: لم يبق الا النظر فى وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم فيخرون سجدا، فيقال لهم: لستم فى دار عمل انما انتم فى دار جزاء. قال حجة الاسلام الغزالى: ما معناه النظر اليه تعالى هى اللذة الكبرى التى ينسى فيها اهل الجنة. فهذه الرؤية هى غاية الحسنى ونهاية النعمى، وكل ما حصل من التمتع لاهل الجنة فيها على هذه النعمة، ينسى ويترك، وليس سرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى، بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء، وذلك اذا اشرف عليهم الحق جل وعلا، وقال لهم: سلام عليكم يا اهل الجنة، ويرونه عيانا فهو اجل ما يرد عليهم من المنح النفيسة فى الجنة، اذ يدعون الى حضرة قربه ومشهد قدسه، وتنصب لهم منابر بين يديه ويشاهدونه كما يشاهد احدنا القمر ليلة البدر، وتتشنف اسماعهم بكلامه سبحانه لهم وقرائته عليهم وتردده اليهم. وفقنا الله للتقوى وخاتمة السعادة، ورزقنا الحسنى

خاتمة

فيما يتعلق برجال الغيب والدليل على وجودهم، قال المحقق ابن حجر رضى الله عنه: رجال الغيب سموا بذلك لعدم معرفة أكثر الناس لهم، رأسهم القطب الغوث الفرد الجامع جعله الله دائراً فى الآفاق الاربعة اركان الدنيا كدوران الفلك فى افق السماء، وقد ستر الله تعالى احواله من الخاصة والعامة غيرة عليه، غير انه يرى عالماً كجاهل وأبله كفطن وتاركاً آخذاً قريباً بعيداً سهلاً عسراً آمناً حذراً، ومكانته من الاولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها وبه يقع صلاح العالم. والاوتاد وهم اربعة لايطلع عليهم الا الخاصة واحد باليمن وواحد بالشام وواحد بالمشرق وواحد بالمغرب. والأبدال وهم سبعة على الاصح، وقيل ثلاثون، وقيل **ثلاثة** عشر، كذا قاله اليافعى. وسيأتى حديث انهم اربعون وحديث انهم ثلاثون وكل منهما يعكر على قوله الاصح انهم سبعة. والنجباء وهم اربعون والنجباء وهم ثلاثمائة، فاذا مات القطب ابدل بخيار الاربعة، او احد الاربعة ابدل بخيار السبعة، او احد السبعة ابدل بخيار الاربعة، او احد الاربعة ابدل بخيار الثلاثمائة، او احد الثلاثمائة ابدل بخيار الصالحين، فاذا اراد الله قيام الساعة اماتهم اجمعين، وذلك ان الله تعالى يدفع عن عباده البلاء بهم وينزل بهم قطر السماء. وروى بعضهم عن الخضر عليه السلام انه قال: ثلاثمائة هم الاولياء، وسبعون هم النجباء، واربعون هم اوتاد الارض، وعشرة هم النقباء، وسبعة هم العرفاء، وثلاثة هم المختارون، وواحد هو الغوث. وجاء عن علي كرم الله وجهه انه قال: الأبدال بالشام، والنجباء بمصر، والعصائب بالعراق، والنقباء بخرسان، والأوتاد بسائر الارض، والخضر عليه الصلاة والسلام سيد القوم. وفى حديث الامام الرافعى انه صلى الله عليه وسلم قال: ان الله فى الارض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم، وله اربعون قلوبهم على قلب موسى، وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل، وواحد قلبه على قلب اسرافيل، فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة، واذا مات من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة، واذا مات من الخمسة ابدل الله مكانه من السبعة، واذا مات من السبعة ابدل الله مكانه من الاربعة، واذا مات من الاربعة ابدل الله مكانه من الثلاثمائة، واذا مات من الثلاثمائة ابدل الله مكانه من العامة بدفع الله بهم البلاء عن هذه الامة. قال اليافعى رضى الله عنه: قال بعض العارفين: والواحد المذكور فى هذا الحديث هو القطب وهو الغوث، قال بعضهم: لم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه فى جملة الأنبياء والملائكة، لانه لم يخلق الله تعالى فى عالم الخلق

والامر اعز والطف واشرف من قلبه صلى الله عليه وسلم، فقلوب الملائكة والانبياء والاولياء بالاضافة الى قلبه كاضافة سائر الكواكب الى الشمس. ولقد سمعت النجم الأصبهاني رضى الله تعالى عنه خلف مقام ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم يذكر ان الخضر عليه السلام سأل الله عز وجل ان يقبضه عند ما يرفع القرآن، والظاهر والله اعلم ان القطب وسائر الأولياء الموجودين وغيرهم من الموجودين فى ذلك الوقت يطلبون الموت ابضا حينئذ، اذ ليس بعد رفع القرآن تطيب الحياة لأهل الخير بل لا يبقى فى الارض خير. وما ذكرته فى الخضر من حياة الخضر هو ما قطع به الأولياء، ورجحه الفقهاء والأصوليون واكثر المحدثين، وقد احتج به واخبر عنه من لا يحصى من الصديقين والأولياء فى كل زمان، بل والله لقد اخبروني انه اجتمع بى وسألنى عن شئ فأجبته ولم اعرفه، لانه لايعرفه الا صاحب استعداد ممن شاء الله، ومبالغة ابن الجوزى فى انكار حياته غلو منه، اذ هو انكار للشمس وليس دونها حجاب بل كلامه فيه متناقض، لانه روى فى حياته اربع روايات بالاسانيد المتصلة عن علي وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم، وكذلك انكاره على اكابر من الصوفية اشياء صدرت عن احوال لا يعرفها وعلوم لا يدركها ولايفهمها، والعجب منه انه يحكى عنهم كلمات عظيمة مزعجة يظهر بها كلامه ثم ينكرها عليهم فى موضع آخر. انتهى كلام اليافعى ملخصا. والحديث الذى ذكره ان صح فيه فوائد خفية منها: انه مخالف للعدد السابق قبله، وقد يجاب بان تلك الأعداد اصطلاح بدليل وقوع الخلاف فى بعضهم كالأبدال، فقد يكونون فى ذلك العدد نظروا الى مراتب عبروا عنها بالأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد وغير ذلك مما مر، والحديث نظر الى مراتب أخرى، والكل متفقون على وجود تلك الأعداد. ومنها انه يقتضى ان الملائكة افضل من الأنبياء، والذى دل عليه كلام اهل السنة والجماعة، الا من شد منهم ان الأنبياء افضل من جميع الملائكة. ومنها انه يقتضى ان ميكائيل افضل من جبرائيل والمشهور خلافه، وان اسرافيل افضل منهما، وهو كذلك بالنسبة لميكائيل، واما بالنسبة لجبريل ففيه خلاف والأدلة فيه متكافئة، فليل جبريل لانه صاحب السر المخصوص بالرسالة الى الأنبياء والرسل والقائم بخدمتهم وتربيتهم، وقيل اسرافيل لانه صاحب سر الخلائق اجمعين اذ اللوح المحفوظ فى جبهته لا يطلع عليه غيره، وجبريل وغيره انما يتلقون ما فيه عنه، وهو صاحب الصور القائم ملتقما له ينتظر الساعة والامر به لينفخ فيه فيموت كل شئ الا من استثنى الله، ثم بعد اربعين سنة يؤمر بالنفخ فيحيون ثم يبعثون. واعلم ان هذا الحديث

لم ار من خرج من حفاظ المحدثين الذين يعتمد عليهم، لكن وردت احاديث تؤكد كثيرا مما فيه. منها حديث ابى نعيم فى الحلية: خيار امتى كل قرن خمسمائة والأبدال اربعون، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأبدال، كلما مات منهم رجل ابدل الله من الخمسمائة مكانه، وادخله فى الاربعين مكانه يعفون عن ظلمهم ويحسنون من اساء اليهم، ويتسامتون فيما اتاهم الله وهم فى الارض كلها. ومنها حديث احمد: الأبدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا. ولا تخالف بين الحديثين فى عدد الأبدال، لان البديل له اطلاقات كما يعلم من الأحاديث الأتية فى تخالف علاماتهم وصفاتهم، او انهم قد يكونون فى زمان الأربعين وفى آخر ثلاثين، لكن يعكر على هذا رواية ولا الأربعون، كلما مات رجل الخ، والرواية الأتية وهم أربعون رجلا كلما مات الخ. ومنها حديث الطبرانى: ان الأبدال فى امتى ثلاثون، بهم تقوم الارض وبهم يمطرون وبهم ينصرون. وحديث ابن عساكر: ان الأبدال بالشام يكونون وهم اربعون رجلا، بهم تسقون الغيث، وبهم تنصرون على اعدائكم، يصرف بهم عن اهل الارض البلاء والغرق. ومنها حديث الطبرانى: الأبدال فى اهل الشام وبهم تنصرون وبهم ترزقون. ومنها حديث احمد: الأبدال بالشام وهم اربعون رجلا، كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا، تسقون بهم الغيث، وتنصرون بهم على الاعداء، ويصرف عن اهل الشام العذاب. ومنها حديث الجلال الذى رواه فى كرامات الأولياء، ورواه الديلمى ايضا: الأبدال اربعون رجلا واربعون امرأة، كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا، وكلما ماتت امرأة ابدل الله مكانها امرأة. ومنها خبر الحاكم عن عطاء مرسلا: الأبدال من الموالى، ومنها خبر ابن ابى الدنيا مرسلا: علامة ابدال امتى انهم لا يلعنون شيئا ابدا، ورفع معضل. ومنها خبر ابن حبان: لا تخلو الارض من ثلاثين وثمانين مثل ابراهيم خليل الرحمن بهم تغاثون وبهم ترزقون وبهم تمطرون. ومنها خبر البيهقى: ان ابدال امتى لم يدخلوا الجنة باعمالهم ولكن انما دخلوها برحمة الله وسخاوة الانفس وسلامة الصدر ورحمة للمسلمين. ومنها خبر الطبرانى فى الاوسط لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن بهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر. ومنها خبر ابن عدى فى كامله: البدلاء اربعون، اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات منهم احد ابدل الله مكانه آخر. فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة. ومنها خبر ابى نعيم فى الحلية ايضا: لا يزال الاربعون رجلا من امتى قلوبهم على قلب ابراهيم، يدفع بهم عن اهل الارض يقال

لهم الأبدال، انهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا صدقة. قال ابن مسعود رضى الله عنه راويه: فبم ادركوها يارسول الله، قال: بالسخاء والنصيحة للمسلمين. قلت: حكى اعنى المحقق ابن حجر فى موضع آخر قولاً: بانه انما سميت الأبدال ابدالاً لانهم قد يرحلون لمكان ويخلفون فى مكانهم الأول شبهاً آخر شبيهاً بشبهم الأصلى بدلاً عنه، وقد اثبتت الصوفية عالماً متوسطاً بين عالمى الاجساد والارواح سموه عالم المثال، وقالوا هو الطف من عالم الأجساد واكثف من عالم الارواح. وبنوا على ذلك تجسد الاجساد وظهورها فى صور **مختلفة من عالم**، وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾، فتكون الروح الواحدة كروح جبريل مثلاً، فى وقت واحد مدبرة لشبحة الأصلى، ولهذا الشيخ المثالى الخ. قال: ومما جاء فى القطب - كما قال بعض المحدثين - خبر ابي نعيم فى الحلية: ان الله تعالى فى كل بدعة كيد بها الاسلام واهله وليا صالحا يذب عنه ويتكلم بعلاماته، فاعتنموا بحضور تلك المجالس بالذب عن الضعفاء وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلاً. قلت: حكى بعض الثقات الاثبات من الفقهاء انه قال: جاورت بمكة وكان لى فيها صديق من اولياء الله فسألته ان يرينى القطب، فمكث مدة ثم قال لى اذا رايتة لا تكلمه، فمكثت مدة ثم رايتة فقبلت يده وجلست ساكناً، ثم التفت القطب وقال: صاحب مصر رجل منكم معشر الفقهاء، فخطر لى ان اسأله عنه فلم يمكننى ذلك، ثم بعد مدة اجتمعت به وكان عندى انى اذا اجتمعت به ان اسأله عن تعيين ذلك الرجل، فالتفت الى وقال: صاحب مصر الآن الشيخ برهان الدين ابن ابي شريف، ثم يكون بعده الشيخ زكريا. قال المحقق ابن حجر: فتأمل هذه الشهادة من القطب لهذين الامامين، ولقد كان زينة مصر بل زينة الدنيا كلها، فانهما كانا لا يخافان فى الله لومة لائم، وكيف لا وقد مد على الشيخ زكريا نظر السادة الصوفية ورضع من لبان معارفهم ودخل تحت لواء اشاراتهم، وتربا معهم حتى اجتلى وتوقد وتفرد وتكشف له معارف وحقائق. وذكر الشعرانى ان شيخه عليا الخواص البرلسى رضى الله عنهما سئل عن القطب الغوث، هل هو دائماً مقيم بمكة كما قيل فقال رضى الله عنه: قلب القطب دائماً طواف بالحق الذى وسعه، كما يطوف الناس بالبيت، فهو رضى الله عنه يرى وجه الحق تعالى فى كل وجهة، كما يستقبل الناس البيت، ويرونه من كل وجهة، اذ مرتبته رضى الله عنه التلقى عن الحق، تعالى جميع ما يفيضه على الخلق وهو بجسده حيث شاء الله تعالى من الارض، ثم قال يعنى الخواص رضى الله عنه: واعلم ان اكمل البلاد البلد الحرام، واكمل البيوت البيت الحرام، لقوله تعالى يجيئ اليه ثمرات كل شئ،

واكمل الخلق فى كل عصر القطب، فالبلد نظير جسده، والبيت نظير قلبه. ومما جاء فى جميع من ذكر، اى القطب والأوتاد والابدال وغيرهم، حديث الترمذى الحكيم وابى نعيم فى كل قرن من امتى سابقون، وفى رواية لكل قرن من امتى سابقون، والحديث المشهور يبعث لهذه الامة على رأس مائة سنة من يجدد لها دينها، والحديث الذى رواه الشيخان وغيرهما من طرق كثيرة لاتزال طائفة من امتى ظاهرين حتى يأتى امر الله وهم ظاهرون، وفى رواية لهما، لاتزال طائفة من امتى قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله و هم ظاهرون، وفى أخرى لابن ماجه لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق قوامه على امر الله لا يضرها من خالفها، وفى أخرى له أيضا لا تزال طائفة من أمتى منصورون لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة، وفى أخرى لمسلم واحمد، لاتزال طائفة من امتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم فيقول اميرهم تعال صل بنا فيقول لا ان بعضكم على بعض امير تكمرة من الله لهذه الامة. تنبيه قال يزيد بن هارون: الأبدال هم اهل العلم اى النافع الذى هو علم الظاهر والباطن لا علم الظاهر وحده. وقال الامام احمد رضى الله عنه: هم ان لم يكونوا اصحاب الحديث، فمن هم، قال المحقق ابن حجر: ومراده باصحاب الحديث من هو مثله ممن جمع بين علمى الظاهر والباطن واحاط بالاحكام والحكم والمعارف والمكان كالأئمة الثلاثة كالشافعى ومالك وابى حنيفة ونفسه ونظائرهم رضى الله عنهم، فان هؤلاء اخيار الأبدال والنجباء والاولاد. فاحذر ان تسمى ظنك بأحد فى مثل اولئك ويسول لك الشيطان ومن استولى عليه، ممن لم يهتد بنور العلم، ان أئمة الفقهاء والمجتهدين لم يبلغوا تلك المراتب. وقد اتفقوا على ان الشافعى رضى الله عنه كان من الاولاد، وفى رواية انه تقطع قبل موته، وكذلك جاء هذا عن بعض تابعيه من الفقهاء كالامام النووى وغيره. وروى الخطيب فى تاريخ بغداد عن الكتاتنى انه قال: النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والبداء اربعون والأخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد. ومسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون فى الارض، والعمد زوايات الأرض، ومسكن الغوث مكة. فاذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فان اجبيوا والا ابتهل الغوث، فلا يتم مسئلته حتى تجاب دعوته. انتهى. وفيه تأييد لبعض مامر ومخالفة له وذلك كله يبين ان تلك الاعداد ترجع الى الاصطلاحات ولا مشاحة فى الاصطلاح. ولقد وقع لى فى هذا المبحث غريبة مع بعض

مشايخي، هي انى ربيت فى حجور بعض اهل هذه الطائفة، اعنى القوم السالمين من المحذرو واللوم فوقر عندى كلامهم لانه صادف قلبا خاليا فتمكن فلما قرأت العلوم الظاهرة وسنى نحو اربعة عشر سنة فقرأت مختصر ابى شجاع على شيخنا ابى عبد الله الامام المجمع على بركته وتنسكه الشيخ محمد الجوينى بالجامع الأزهار بمصر المحروسة فلازمته مدة وكان عنده حدة فانجر الكلام فى مجلسه يوما ذكر القطب والنجباء والنقباء، والابدال وغيرهم ممن مر فبادر الشيخ الى انكار ذلك بغلظة وقال هذا كله لاحقيقة له وليس فيها شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له وكنت اصغر الحاضرين معاذ الله بل هذا صدق وحق لا مرية فيه لان أولياء الله اخبروا به وحاشاهم من الكذب وممن نقل ذلك الامام اليافعى وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة فزاد انكار الشيخ واغلاظه علي فلم يسعنى الا السكوت فسكت واضمرت انه لا ينصرنى الا شيخنا شيخ الاسلام والمسلمين، وامام الفقهاء والعارفين، ابو يحيى زكريا الانصارى رضى الله عنه وكان من عادتي انى أقود الشيخ محمد الجوينى لانه كان ضريرا واذهب انا وهو الى شيخنا المذكور اعنى شيخ الاسلام زكريا يسلم عليه. فذهبت انا والشيخ محمد الجوينى الى شيخ الاسلام فلما قربنا من محله قلت للشيخ محمد الجوينى لا بأس ان اذكر لشيخ الاسلام مسألة القطب ومن دونه وننظر ما عنده فيها فلما وصلنا اليه اقبل علي الشيخ الجوينى وبالف فى اكرامه وسؤال الدعاء منه ثم دعا لى بدعوات، منها اللهم فقهه فى الدين وكان كثيرا ما يدعو لى بذلك فلما تم كلام الشيخ واراد الجوينى الانصراف قلت لشيخ الاسلام ياسيدى القطب والاولاد والنجباء والأبدال وغيرهم ممن يذكره الصوفية، هل هم موجودون حقيقة، فقال: نعم، والله يا ولدى فقلت له: يا سيدى ان الشيخ واشرت الى الشيخ الجوينى ينكر ذلك ويبالغ فى الرد على من ذكره، فقال شيخ الاسلام: هكذا يا شيخ محمد، وكرر ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد: يا مولانا شيخ الاسلام امننت بذلك، وصدقت به، وقد ثبت، فقال: هذا هو الظن بك يا شيخ محمد. ثم قمنا ولم يعاتبني الجوينى على ما صدر منى. ونظير هذه الواقعة من بعض وجهها ما وقع لى وعمرى نحو ثمانية عشر سنة مع بعض مشايخنا ايضا وهو شيخ الاسلام الشمس الدلجى، وكان اعطى فى العلوم الشريعة والعقلية من متانة التصنيف وقوة السبك ما لم يعطه احد من اهل زمانه. كنا نقرأ عليه ذات يوم فى شرح التلخيص للسعد التفتازانى وفى كتابه صنفه الشيخ فى اصول الدين، فوقع ذكر العارف بالله تعالى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه فى المجلس فبادر الشيخ وقال قاتله الله

ما اكفره، كيف وكلامه ينطق بالحلول والاتحاد، واما شعره ففي الذروة العليا، فقلت له: من بين الحاضرين حاشاه الله من الكفر ومن الحلول والاتحاد. فاغلظ في الانكار علي وعليه فاغلظت في جوابه، وكان بالشيخ مرض بضيق النفس وكان قد اخبرنا ان له مدة مديدة لا يقدر على وضع جنبه على الارض ليلا ولا نهارا، فقلت له: يا سيدى، انا التزم لك انك ان رجعت عن انكارك على الشيخ عمر بن الفارض وابن عربى وتابعيهما برئت من هذا الداء العضال، فقال: هذا لا يصح، فقلت: صدقوا قولى بالرجوع عن ذلك وجربوه مدة يسيرة، فان ذهب والا فانتم تعرفون ما ترجعون اليه، فقال: يمكن ان نجرب. ثم اظهر لنا الرجوع والتوبة فانصلح حاله وخف مرضه مدة مديدة وكنت اقول له: يا سيدى صحت ضمانتى، فضحك ويعجبه ذلك، وفي تلك المدة ما سمعنا منه عن هذه الطائفة الا خيرا. قلت: ونظيرها من بعض وجهها ايضا، ما ذكره الشعرانى عن شيخه محمد الشناوى رضى الله عنهما ان الشيخ ابا الغيث بن كتيلة احد العلماء بالمحلة الكبرى واحد الصالحين بها كان بمصر، فجاء الى بولات فوجد الناس مهتمين بامر مولد سيدى احمد البدوى رضى الله عنه والنزول فى المراكب، فانكر ذلك وقال: هيهات ان يكون اهتمام هؤلاء بزيارة نبيهم صلى الله عليه وسلم مثل اهتمامهم باحمد البدوى. فقال له شخص: سيدى احمد ولي عظيم. فقال: ثمة فى هذا المجلس من هو اعلى منه مقاما، كانه يشير الى نفسه. فعزم عليه شحص فاطمه سمكا فدخلت حلقه شوكة تصلبت، فلم يقدر على نزولها بدهن غطاس ولا بحيلة من الحيل، ووردت رقبته حتى صارت كخلالية النحل تسعة اشهر، وهو لا يلتذ بطعام ولا شراب ولا منام، وانساه الله تعالى السبب فبعد التسعة اشهر ذكره الله تعالى بالسبب، فقال: احملونى الى قبة سيدى احمد رضى الله عنه فادخلوه، فشرع يقرأ سورة يس فعطس عطسة شديدة، فخرجت الشوكة مغمسة دما، فقال: تبت الى الله تعالى يا سيدى احمد، وذهب الوجع والورم من ساعته. قال اعنى الشعرانى: ووقع شمس الدين ابن اللبان فى حق سيدى احمد رضى الله عنه، فسلب القرآن والعلم والإيمان، فلم يزل يستغيث بالأولياء، فلم يقدر احد ان يدخل فى امره، فدلوه على سيدى ياقوت العرشى، فمضى الى سيدى احمد رضى الله عنه وكلمه فى القبر واجابه، وقال له: انت ابو الفتيان رد على هذا المسكين رسما له، فقال: بشرط التوبة، فتاب ورد عليه رسما له، وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان فى سيدى ياقوت العرشى. ثم ان سيدى ياقوتا زوج ابن اللبان ابنته ولما مات اوصى ان يدفن تحت رجليها، اعظاما لوالدها الشيخ ياقوت رضى الله عنهما. قال الشعرانى واخبرنى اخى

الشيخ الصالح الحاج احمد الحلبي انه كان له بيت يشرف على ضريح الشيخ محي الدين، فجاء شحص من المنكرين بعد صلاة العشاء بنار يريد ان يحرق تابوت الشيخ، فحسف به دون القبر بتسعة اذرع فغاب في الارض وانا انظر، ففقده اهله من تلك الليلة فاخبرتهم بالقصة، فجاءوا فحفروا فوجدوا رأسه، فكلما حفروا نزل وغار في الارض الى ان عجزوا ورددوا عليه التراب. والحكايات في نظير ذلك كثيرة، فنسأل الله تعالى الحفظ عن مثل الانكار على الأولياء، وان يوفقنا للادب معهم حيا وميتا. وذكر الشعراني ان شيخه عليا الخواص البرلسي رضى الله عنهما سئل عن طائفة المسلمين، كسيد احمد الزاهد وسيدى مدين وأضربهما رضى الله عنهم هل كانوا اقطابا، فقال رضى الله عنه: لا، وانماهم كالحجاب على الملك، فلا يدخل عليه احد من الناس الا باذنهم وعلمهم، فهم يعلمون الناس الآداب الشرعية والحقيقة، وما يظهر عليهم من الكرامات والأحوال، انما هو لصفاء نفوسهم واخلاصهم وكثرة مراقبتهم ومجاهدتهم. واما القطابة فجعل ان يلج مقامها الأحوط غير من اتصف بها، قال وقد بينها الشيخ عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه، وقال: ان لها ستة عشر عالما الدنيا والآخرة عالم واحد من هذه العوالم، فقليل له فالتصريف الذى يظهر على ايدى هؤلاء المسلمين هل هو لهم اصالة كالقطب ام لا، فقال رضى الله عنه: ليس هو لهم اصالة، وانما هو بحكم الافاضة عليهم من الدوائر التى هى قوتهم كالقطب، وايضاح ذلك ان الله تعالى اذا اراد انزال بلاء شديد مثلا، فاول ما يتلقى ذلك القطب فيتلقاه بالقبول والخوف، ثم ينتظر ما يظهره الله تعالى فى لوح للمحو والاثبات الخصيصين بالاطلاق والسراح، فان ظهر له المحو والتبديل نفذه وامضاه فى العالم بواسطة اهل التسليك الذين هم سدنة ذلك فينفذون ذلك، وهم لا يعلمون ان الامر مفاض عليهم، وان ظهر له الثبوت دفعه الى اقرب عدد ونسبة منه، وهما الامامان فيحتملان به ثم يدفعانه ان لم يرتفع الى اقرب نسبة منهما، كذلك حتى يتنازل الى اصحاب دائرته جميعا، فان لم يرتفع تفرقته الأفراد وغيرهم من العارفين الى عموم المؤمنين حتى يرفعه الله عز وجل بتحملهم، ولو لم يحمل هؤلاء ذلك من العالم لتلاشى فى طرفة عين، قال تعالى: ﴿ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض﴾، وقال تعالى: ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾، اشارة الى القطب الذى هو العمدة المعنوى الممسك للسموات، ففيه اشارة الى خفائه فى العالم. وقال فى موضع آخر: ان الخلوة بالله وحده لا تكون الا للقطب الغوث فى كل زمان. فاذا فارق هيكله النور بالانتقال الى الدار الآخرة، انفرد الحق تعالى بشخص آخر مكانه لا ينفرد

بشخصين قط في زمان واحد. قال وهذه الخلوة وردت في الكتاب والسنة، ولكن لا يشعر بها الا اهل الله خاصة. قال واما خلوة غير القطب فلا تكون بالله، وانما هي لمزيد الاستعداد والبعد عن يشغله عن الطاعات من المخلوقين لا غير. ونقل المناوى عن ابن عربى رضى الله عنه من رجال الله رجل واحد، وقد يكون امرأة في كل زمان، وهو القاهر فوق عباده، له الاستطالة على كل شىء، منهم شجاع مقدم كثير الدعوى بحق يقول حقا ويحكم عدلا، قال: وكان صاحب هذ المقام عبد القادر الجيلانى ببغداد. وقال اعنى المناوى: رأيت نقلا عن ابى المواهب التونسى رضى الله عنه: ان اول من تولى القطبانية من المصطفى صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء مدة حياتها رضى الله عنها، ثم انتقلت عنها الى ابى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن رضى الله تعالى عنهم. يقول محمد محفوظ بن عبد الله الترمسى، كان الله له، وختم بالصالحات عمله: وليكن هذا آخر هذه المنتخبة التى سميتها [بغية الأذكياء فى البحث عن كرامة الأولياء] وكان نجازها قبيل المغرب يوم الاحد ثامن عشر الربيع الاول سنة ١٣٣٧، فيا ربنا لك الحمد حمدا كثيرا لهيبا، كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك لا اله الا انت، سبحانه انى كنت من الظالمين. سبحانه لا نثنى عليك انت كما اثبت على نفسك، نسألك اللهم ان تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون. رب زدنى علما، ونسألك اللهم ان تعز الاسلام وتنصر المسلمين القائمين به، ونسألك اللهم ان تفتح علينا وعلى اولادنا فتح العارفين، بجاه خاتم الانبياء والمرسلين، وان تنفع بهذه المنتخبة وبجميع مؤلفاتى كافة المسلمين، وان توفقنا جميعا للتقوى والاستقامة، ثم خاتمة الخير والسعادة، وترزقنا الحسنى

وزيادة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

وآله وصحبه اجمعين. والحمد لله

رب العالمين.

آمين ٣

فهرست الكتاب بغية الاذكياء فى البحث عن كرامات الأولياء

صحيحة	
٢	كلمات الشيخ العلامة كياهى ميمون زبير السارنجى
٤	ترجمة الشيخ محمد محفوظ بن الشيخ عبد الله الترمسى
٦	مقدمة الكتاب
٦	تعريف الولي والكرامة وما يتبعه
٨	فصل فى نقل كلام التاج السبكى فى هذا المبحث
٩	شبهة للقدرية فى منع الرامات وذكر فسادها
٩	شبهة ثانية لهم وتبيين الانفصال عنها
١٠	شبهة ثالثة لهم ووجه الانفصال عنها
١٠	شبهة رابعة لهم وكشف عوارها
١٢	شبهة خامسة لهم وتقرير بطلانها
١٤	ومنها على يد امير المؤمنين عمر الفروق رضى الله عنه
١٧	ومنها على يد عثمان ذى النورين رضى الله عنه
١٨	ومنها على يد علي المرتضى امير المؤمنين رضى الله عنه
١٩	ومنها على يد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
٢١	منها على يد ابن عمر رضى الله عنه
٣١	فصل فى نقل كلام المحقق ابن حجر الهيتمى
٤٣	مسئلة فى تحقيق الفرق بين الخطاب الذى يذكره الأولياء
٤٥	مسئلة فى الأجوبة عما وقع من شطحات الأولياء
٥١	مسئلة ايما افضل علكاء الباطن ام علماء الظاهر
٥٨	مسئلة فى البحث عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم
٦١	مسئلة فى البحث عن رؤية الله
٦٦	خاتمة فيما يتعلق برجال الغيب والدليل على وجودهم